ثنائية الشكوى والتحدي في شعر المتنبي
– دراسة تحليلية –

م.د. محمد عبد الرضا جاسم
جامعة ميسان / كلية القانون

لقد حفل العصر العباسي بكثيرٍ من الشعراء والكتّاب الذين عُرفوا واشتهروا بما قدموه من إبداعٍ في النثر والشعر، فسطعت أسماءُ فلاسفةٍ وكتّابٍ وشعراءَ كبارٍ في عصر الخلافة العباسية التي اجتازت الطريق إلى عهدها الثالث ضعيفة مقطعة الأوصال، لكن ذلك لم يُعق حركة الحضارة الإسلامية، فظهر ابن سينا والفارابي والثعالبي والصنوبري والمتنبي وأبو فراس الحمداني وغيرهم، وقد شهد العصر العباسي الثالث بداية الصراع السياسي على السلطة وهو الإشارة الأولى لتصدع الإمبراطورية وتمزقها.

وُلِدَ المتنبي سنة ٣٠٣هـ في محلة كندة بالكوفة التي لم تنعم له فيها إقامة، والمتنبي ينفردُ من بين شعراء عصره بشهرةٍ لا مثيل لها أساسها ثقته بنفسه اللافتة للنظر وما يتصل بها من الأنفة والإباء والشعور بالعظمة، فكان شعره يلتصق بنفوس العرب التواقين إلى المجد والحرية على مدار الزمن ويشغفون به شغفاً شديداً[١]، فكان بحق من أعظم شعراء العرب ومن أكثرهم تمكناً من اللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها وله مكانة سامية لم تُتح مثلها لغيره من شعراء العربية، فيُوصف أنّه نادرة زمانه وأعجوبة عصره، وإلى اليوم ظلَّ شعره مصدر إلهام روحي للشعراء والأُدباء، فقد ترك سِفراً ضخماً من الشعر ضمَّ ثلاثمئة وستاً وعشرين قصيدة تمثّل عنواناً لسيرة حياته التي حفلت بالكثير، فكان صاحب صوت ضخم لا يرتفع به حتى يُحدث جلبةً شديدة، وهذا ما ضَلل النقاد قديماً وحديثاً في فهمه[٢].. وفي شعره اعتزازٌ بالعروبة لأنّه يرى أنّ الغلبة في عصره لغير العرب فسعى إلى بثّ روح الجهاد واستنهاض الأمة والتذكير بماضيها المجيد وهو يكشف عن ملامح واقع فاسد مؤكداً اتجاهه القومي، وهذا ما نلمسه في هجاء كافور إذ يقول[٣]:

...ولا توهمــتُ أنّ النــاسَ قــد فُقِــدُوا وَأنَّ مِثْــلَ أبــي البيــضاء موجــودُ

لقد ظَلّلت النفسية الشاكية الثائرة ملازمةً للمتنبي طوال حياته، لأنّ الظروف التي ظهر فيها كانت جزءاً من مأساته، فهي لم تتصل بنشأته أو نسبه أو حالته الاجتماعية بل كانت ظروفاً تتصل بعصره الذي وصف بأنّه عصرٌ شديد التعقيد والتناقض، وحين أدرك أنّ سلطان الدولة ضعيف وجائر، راح يصرخ في الناس لينقذ المجتمع من هذا التردي محاولاً تحقيقه بكلِّ ما يُؤتى به، فينهال على ما لا يرضيه في عنف ولا هوادة لاقتلاعه من جذوره... وأنْ يُغيّر التربة كلّها، ويبذر بذوراً جديدة وسبيله إلى ذلك الكلمة، فكان يشيد بقوة تحمّله وصبره على المكاره قائلاً[٤]:

أُطــاعِنُ خــيلاً مــن فوارســها الــدّهرُ وحيــداً ومــا قــولي كــذا ومعــي الــصبرُ
وأشــجعُ منــي كــلَّ يــومٍ ســلامتي ومــا ثَبتَــتْ إلاّ وفــي نَفْــسِها أمــرُ

(1) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف/ دار المعارف – مصر، ط١٠، ص٣٤٩.
(2) ينظر: المصدر نفسه: ص٣٤٩.
(3) شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان/ ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٠٢/٢.
(4) شرح ديوان المتنبي: ١٧٨/٢.

تمرّسْتُ بالآفاتِ حتى تركتُها　　تقولُ أَماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذُّعْرُ
وأقدَمْتُ إقدامَ الأَتيِّ كأنّ لي　　سوى مُهْجَتي أوْ كانَ لي عِنْدَها وِتْرُ

وفي البيت الأخير يشير إلى أنّه أقدم على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذي لا يرده شيء.. وطمح فما كان لطموحه حد، وما استصعبَ الصعاب وسعى إلى المجد وأراد الملك بالسيف فلم يُفلح فقال مفتخراً[١]:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرُومِ　　فلا تَقْنَعْ بما دونَ النجومِ
فطعمُ الموتِ في أمرٍ صغير　　كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ
...يرى الجبناءُ أنَّ العجزَ عقلٌ　　وتلك خديعةُ الطبعِ اللئيمِ
وكلُ شجاعةٍ في المرءِ تُغْني　　ولا مِثْلَ الشجاعةِ في الحكيمِ

ويبقى واقعه سِرَّ قلقه الدائم فهو لا يعرف إلاّ الانتصار أو الموت فهو لم يَسْعَ إلاّ للمطالب والاتصال بينابيع القوة والسيطرة على العالم وتغييره فهو عندما يتطلع إلى آفاقٍ لا يمكنه الوصول إليها تمتلئ نفسه بالمهاوي[٢]، فيذمُّ المكانَ والزمان.. ويذمّ الدهر لأنّه لم ينله قصده فيصرخ قائلاً[٣]:

قُبْحاً لوجهكَ يا زمانُ فإنّهُ　　وجهٌ لهُ مِنْ كلِّ قُبحٍ برقعُ

كما أنّ نفسهُ الطامحة دفعته إلى أنْ يُقسّم قصائده بينه وبين ممدوحيه حتى صارت ظاهرة اتصفت بها مدائحه، وقد عَبّر عنها باحثٌ معاصر بـ (التوحد بالممدوح)[٤] فكان يُسقط على ممدوحيه شخصيته كما يسقط على نفسه الكثير من شخصية ممدوحيه كقوله[٥]:

أنا السابقُ الهادي إلى ما أقولُهُ　　إذ القولُ قبلَ القائلينَ مقولُ
وما لِكلامِ الناسِ فيما يُريبُني　　أصولٌ ولا لِلْقائليهِ أصولُ
ولا تَطْمَعَنْ من حاسدٍ في مودةٍ　　وإنْ كنتَ تُبديها لهُ وتنيلُ
وإنّا لنلقى الحادثاتِ بأنفسٍ　　كثيرُ الرزايا عِنْدَهُنَّ قليلُ

فهذه الحوارية المستمرة بين الطموح والواقع الذي لا يقدر أنْ يُساير طموحه فإنها تنقلب إلى حُرقةٍ وشكوى يلفها الحسد ويبقى مع المواعيد يعصرُ طموحهُ قائلاً[٦]:

أمسيتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خازناً ويداً　　أنا الغنيُّ وأموالي المواعيدُ

ويبقى تمرد المتنبي وحلمه بتضريب أعناق الملوك ضرباً من التغرّب والشد بواقع في الغيب.. إلى أن يُصبح حقيقةً في الوجود.. كان كلّ شيءٍ لديه بدأ بالرفض والتمرد والثورة.. فالشعر والقصيدة لديه الأداة

(1) المصدر نفسه: ١٨٠/٤.
(2) ينظر: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي/ الدكتور محمد زكي العشماوي، دار النهضة – بيروت ١٩٨١، ص ٢٥٥.
(3) شرح ديوان المتنبي: ١٩/٣.
(4) ينظر: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، الدكتور محمد زكي العشماوي، ص ٢٣٤.
(5) شرح ديوان المتنبي: ١٦٨/٣.
(6) المصدر نفسه: ١٠٠/٢.

والعمل الخلاّق على السواء، يتوسل بهما إلى عرك لبنةٍ جديدةٍ لواقع جديد ليس لديه منه سوى رسوم هياكل قوامها اللغة في تحفزها للعمل[١]. إنَّ قراءتي شعر الشاعر وتأملي إياه وجدته إنساناً وفناناً ومما استوقفني في سيرته وإنتاجه الفني هذه الثنائية اللافتة التي تضمُّ مرارة الشكوى إلى جنب التحدي، وعدم الاكتراث، والتغنّي بالعظمة وبُعدُ الهمة ومقارعة الدهر بأهواله وغوائله على شاكلة قوله[٢]:

تغــرّب لا مــستعظماً غيــرَ نفــسهِ ولا قــابلاً إلاّ لخالقــهِ حُكمــا

وتأسيساً على هذا تأملت ديوان الشاعر معّولاً على القراءة التحليلية وصولاً إلى استنطاق النصوص لأقف على بواعث ثنائية الشكوى والتحدي في شعره، إذ تتجاذبان حياة الشاعر وأفضت به إلى مصيره المحتوم. وتجيء دراستي في فصلين يسبقهما تمهيد وتعقبهما خاتمة... فالأول استوعب الشكوى وبواعثها المختلفة عند أبي الطيّب المتنبي... فيما تكفّل الفصل الثاني نزعة المتنبي إلى التحدي ومواجهة الصعاب واستشعار العظمة ومواجهة الدهر والخصوم بالاستصغار والتهوين. بعدها أجملت أبرز النتائج التي كشف عنها تحليل النصوص بعد الوقوف على العناصر المتآزرة في إبداع الشاعر وفوزه بالمجد الأدبي وتقديمه تجاربه الوجدانية تقديماً شعرياً خلاّقاً.. فلذلك ظلّ شعره رؤيةً ذاتيةً وحواراً مستمراً بين الطموح والواقع الذي لا يقدر أن يساير هذا الطموح.

التمهيد

لقد تعددت وتنوعت الكتابات حول الشاعر المتنبي درساً وتحليلاً.. ولعل هذا الذي أباح لبعضهم القول ((إن الرجل قتل بحثاً))، لكنّه في الحقيقة يبقى سِرّاً من الأسرار الغامضة التي لم تكشف الأضواء جميعها على هذه الشخصية الكبيرة التي باتت تؤرق الكثير من الباحثين.. أليسَ هو القائل[٣]:

أنــامُ مِــلءَ جفــوني عــن شــواردها ويــسهر الخلــقُ جرّاهــا ويختــصمُ

والقائل أيضاً[٤]:

ومــا الــدهرُ إلاّ مــن رواة قلائــدي إذا قُلْــتُ شِــعْرَاً أصــبح الــدهرُ مُنْــشدا

وخلال بحثي المتواضع هذا اعتمدتُ شعر المتنبي وثيقةً أساسية في معرفة شكواه.. ومَ شكا.. من خلال رؤيته المتذمرة والمتمردة على الزمان والمكان وسعيه الجاد للحصول على – ولاية – كي يُعيد بحسه القومي مجد العرب وتثبيت صرح الأمة العربية وكسر شوكة الأعاجم الذين كانت غلبتهم غلبة ممقوتة، لم يلبث الخلفاء أن أدركوا خطرها قبل أن تُؤذن بانقلاب يحيل الحياة العباسية حياة أعجمية كسروية وكان للنزعة العربية التي حمل لواءها أمراء الجيش وقواده من العرب معنى اليقظة البالغة والهجوم المقابل –

(1) ينظر: الشعر العربي الجديد بين مصدره ومعطاه/ د. ميشال سليمان/ بحث في مجلة مهرجان المربد الشعري الثاني/ ١٩٧٢/ الجمهورية العراقية – وزارة الإعلام – مديرية الثقافة العامة، ص٨٨.
(2) شرح ديوان المتنبي: ١٧٢/٤.
(3) شرح ديوان المتنبي: ٦٣/٤.
(4) المصدر نفسه: ١٠/٢.

كما نقول اليوم – على النزعة الشعوبية العارمة في أول أيام الدولة العباسية[١]. إنَّ حسَّ المتنبي القومي أخذ يتنامى لأنّه عاش في عصر كانت الغلبة فيه لغير العرب، ولذلك لم يستطع سوى الهتاف والتنبيه واستنهاض الأمة والتذكير بماضيها المجيد، والاستعانة بمَنْ بقي من الزعماء العرب لعلّهم يفعلون شيئاً ينقذ البقية الباقية من سمعة الأمة وهيبتها فلذلك لجأ إلى سيف الدولة الحمداني الذي عايشه ما يقرب من تسع سنين (٣٣٧ – ٣٤٥هـ) [٢] وكان رفيقه في أكثر وقائعه، ويعدّه المتنبي ممثلاً لبقايا الروح الأصيلة التي أعدتها الأقدار لمثل هذه الظروف لكي يخلص العرب من أنياب الفرس الذين داسوا على القيم الأصيلة التي يعتز بها العربي.. فهؤلاء الأعاجم هم مأساة المتنبي[٣].. فراح يقول وهو يمدح التنوخي[٤]:

وإنّما الناس بالملوكِ وما ... تفلحُ عربٌ ملوكها عجمُ
لا أدب عندهم ولا حسبُ ... ولا عهودٌ لهم ولا ذممُ
بكلِّ أرض وطئتها أممُ ... ترعى بعبدٍ كأنها غنمُ

وقال أيضاً: إنّ من حقّه أن يتولى السلطة والقيادة لأنّه عربي[٥]:

سأطلبُ حقّي بالقنا ومشايخ ... كأنَّهُمُ مِنْ طُولِ ما التثمُوا مُرْدُ
ثقالٌ إذا لاقَوْا خفافٍ إذا دُعُوا ... كثيرٍ إذا شدَّوا قليلٌ إذا عدّوا

لقد شغلت هذه القضية جزءاً مهماً من شعره، وامتدت لتطغى على مواقفه جميعاً، وغلب عليها طابع الدفاع عن مجد العرب وعزّتهم.. وهكذا يبقى المتنبي صوتاً عربياً مخلصاً في عروبته، وفي صدق دفاعه عن الوجود العربي[٦] لأنه أراد في ذلك تعميق الوعي القومي، لكنه اصطدم بواقع سياسي واجتماعي مرير جعل ديمومة الشكوى في نفسه مستمرة تبعث فيها دوافع خيبته من تحقيق آماله وطموحاته لأنّ هذه الاستطاعة بالقوة دون الفعل – كما يقول د. إحسان عباس[٧]– جعلته سالكاً طريق المسالمة الظاهرية والثورة السلبية التي لم تحقق له شيئاً، فظلّ المتنبي يحملُ جرحه المقيم، جُرح الطموح الكبير – تسلّمه ولاية – الذي لم يلتئم حتى وفاته على الرغم من حصوله على المال والجاه.. وكانت شكواه كما يرى الباحث شكوى عزّ لا شكوى ذل لأنّه يرفض الخنوع والاستكانة ونفسيته مستعلية طامحة "ويمكن أن نضيف ما فحواه أن الترحال الدائم الذي تعوده المتنبي هو ناجمٌ عن تقلقله الداخلي بصورة قطعية بسبب سوء تكيفه مع البيئة، كان من شأنه أن يعمق فيه حس الحركة وصورتها التجريدية، ولقد عبّر عن تقلقله ورحيله المستمرين ببيت من الشعر يحتوي على استعارة جميلة"[٨]:

---

(1) ينظر: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ الدكتور احمد عبد الستار الجواري، الطبعة الأولى/ ٢٠٠٦، ص٢٤٤
(2) يتيمة الدهر/ الثعالبي/ تحقيق محيي الدين عبد الحميد/ ط١ – القاهرة ١٩٣٤، ١٦/١.
(3) ينظر: مع المتنبي شعر الحماسة والحكمة/ الأستاذ الدكتور هادي نهر/ ط١ – ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م. عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن، ص١٤.
(4) شرح ديوان المتنبي: ١٣٣/٤.
(5) المصدر نفسه: ٦٥/٢. المرد: الذي لا لحية له.
(6) ينظر: ملامح الحس القومي في أدب العصر العباسي في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ روناك توفيق علي/ رسالة ماجستير – جامعة بغداد ١٩٨٣، ص١٦٥.
(7) ينظر: الشريف الرضي/ الدكتور إحسان عباس/ دار صادر – بيروت ١٩٥١، ص٢٤٧.
(8) لماذا صمد المتنبي؟ يوسف اليوسف/ مجلة المعرفة العدد ٢٠٠، ص١١٢.

على قلقٍ كأنّ الريح تحتي أوجهها جنوباً أو شمالا[1]

وقد يكون هذا من حسن حظ الشعر العربي عدم حدوث ذلك، فقد تفتقت معاناته النفسية عن روائع القصائد التي أمدّت الشعر العربي بأجمل القصائد التي خلدها الزمن ورددتها الأجيال.

الفصل الأول
بواعث شكوى المتنبي

توطئة

الشكوى بمفهومها حالة شعورية تنتاب الإنسان الذي يجد نفسه أمام ظُلمٍ أو عذاب أو أسقام، فوجد في اللغة ملاذاً يُعبّر فيه من خلال ألفاظها عما في دواخل نفسه وأنين شكواه.. قال تعالى على لسان يعقوب (ع): (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[2].

فالحزن والشكوى والبث حالات من حالات الإنسان تتكون بتأثيرات داخلية أو خارجية لترسم الضعف والانكسار الذي يُصيب الإنسان طالما أنّه يحيا على هذه الأرض.. لذا صارت الشكوى عاطفة قوامها الإحساس بالظلم أو الحرمان، وباعثُ الشكوى قد يكون إحساس الإنسان بالعجز عن الوصول أو تحقيق ما يطمح إليه.. لذا تُصبح الشكوى متنفسه الوحيد ونافذته إلى البوح الخارجي العاكس للألم الداخلي[3].

وبواعث شكوى المتنبي منها ما كان عاماً، حيث شكا من الزمان والفقر والناس والشعراء والأصدقاء، ومنها ما كان خاصاً، إذ شكا من الموت والمرض والليل والهجر والشيب والغربة والسجن.. ومما تجدر الإشارة إليه أن شكواه لم تنفرد بقصائد خاصة بل جاءت متوغلة في أغلب قصائد ديوانه.. وبحلول العصر العباسي الثاني – أي العصر الذي عاش فيه المتنبي – أي القرن الرابع الهجري، تطورت الشكوى، وتوسعت، إذ يقول شوقي ضيف "وشاعت مع الفخر الشكوى من الدهر ومن الناس، وهي شكوى قديمة، غير أنها اتسعت في هذا العصر سعةً شديدة، لما شاع فيه من كثرة البؤس والضنك في حياة الناس فضلاً عن الشعراء"[4] فقد شعر كثير من الشعراء بهذا الظلم، خاصة الذين نالوا حظاً كبيراً من العلم، في مجتمع لم يُقدّر هذه المواهب مما حدا بعبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة الذي رأى كثيراً من الجهال يعلونه في نعيم الحياة تاركين له ولأمثاله البؤس والشظف فهتف قائلاً[5]:

هذا زمانٌ ليس فيه سوى النذالة والجهالة
لم يَرْقَ فيه صاعدٌ إلاّ وسلّمه النذالة

(1) شرح ديوان المتنبي: ٢٤٩/٣... وينظر: المتنبي بين الاغتراب والثورة/ الدكتور ذياب قديد/ عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن – ٢٠١١، ص٥٦.
(2) سورة يوسف/ ٨٦.
(3) ينظر: شعر الشكوى عند المتنبي/ احمد عبد الرحمن حسين العرفج/ رسالة ماجستير/ جامعة أم القرى/ كلية اللغة العربية، ص٤.
(4) تاريخ الأدب العربي/ عصر الدول والإمارات/ د. شوقي ضيف/ دار المعارف/ القاهرة/ الطبعة الثانية، ص٥٩٦ – ٥٩٧.
(5) تاريخ الأدب العربي/ عصر الدول والإمارات/ ص٥٩٧.

فـ "شخصية المتنبي ظاهرةٌ في شعره كلِّه في حكمته وتشاؤمه ونعني بها شخصية الطامح المغامر المعتد بنفسه، فهو يتغزل كما يفخر ويصف ويشكو أو يتهكم"[١].

وقد ازدادت الشكوى وارتفع صوتها بسبب انقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات هنا وهناك وازدياد الكوارث والفقر والتسلط والظلم مما كان له الأثر الكبير على المجتمع.. فكان الشعراء بطبيعة الحال "أسرع الناس تعبيراً عما يعتمل في نفوسهم وفي نفوس الآخرين من الألم والشعور المحض"[٢].

وقد تتحول الشكوى من الزمان وأهله إلى ضرب من التشاؤم الشديد، فالزمان كله بؤس وتعاسة كما أن الناس ليس فيهم فاضل ولا كريم، بل كلهم دون ذلك وهذا ما عبّر عنه الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني بقوله[٣]:

ما في زمانك ماجدٌ ... لو قد تأملت الشواهد
فاشهد بصدقٍ مقالتي ... أو لا فكذبني بواحد

الباعث السياسي

نشأ المتنبي في ظلِّ أوضاع سياسية مضطربة، فباستيلاء بني بويه على العراق العربي انتهت البقية الباقية من نفوذ الخليفة العباسي الذي لم يبقَ له غير الاسم والمظهر والزعامة الروحية التي نافسه عليها البويهيون والفاطميون والقرامطة حتى كانت سبباً في النزاع القائم بين هذه الأطراف.. فضلاً عن الحروب التي كان أوارها مشتعلاً بين فترة وأخرى بين العرب والفرس والترك. فهذه القلاقل والاضطرابات أدّت إلى وهن الخلافة العباسية، وإضعاف السلطة المركزية في بغداد، وانهار كيانها واستقلت بعض الأمصار عن بغداد "فصارت واسط والبصرة والأهواز في أيدي البريديين وفارس في يد علي بن بويه، وكرمان في يد أبي علي بن الياس، وأصبهان والري والجبل في يد أبي علي الحسن بن بويه.. والموصل وديار ربيعة وديار بكر في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج والمغرب وأفريقية في يد أبي تميم، والأندلس في يد الأموي، وخراسان في يد نصر بن احمد، واليمامة والبحرين وهجر في يد أبي طاهر بن أبي سعيد الجناني وطبرستان وجرجان في يد الديلم، ولم يعد في يد السلطان وابن رائق غير السودان والعراق"[٤] نتيجة هذا الضعف الذي أصاب كيان الدولة العباسية وعدم قدرة خلفاء بني العباس على حماية سلطانهم اضطروا إلى الاستقواء بالأجانب أعداء الدولة العربية فكثرت ثورات الخارجين على بغداد "ومن أجل هذا طمع فيهم الروم بغزوهم كلَّ حين، وراحوا يستولون على بلادهم شيئاً فشيئاً حتى الزنج والحبشة كانوا يغيرون على الدولة الفينة بعد الفينة ينهبون ويسلبون، ولم تعد المملكة مخشية الجانب كما كانت أيام وحدتها"[٥] كلّ هذه الأحداث التي سمعها أو عاصرها أبو الطيب المتنبي عمّقت في نفسه الأسى "وقد ألمَّ إحساسه بهذا كلّه وترك فيه أثراً بعيداً وعمقاً حاداً، انّه الشعور بالألم والمرارة لما وصلت إليه الأمة من انحطاط في خلقها وعاداتها الأصيلة، وما تردت فيه من ضياع ورغبة أكيدة ملحة في أن ينهض بهذه الأمة ويقيلها من عثراتها ويعيدها لما كانت عليه في الماضي من مجد وعظمة وخلق"[٦] فاستيقظت ذاته عن مطمحٍ لا حدَّ له، فهو ليس إنساناً يرضى من الأيام بالقليل فلذا اتقد شعره بشرارة الثورة والتغيير ونيل المعالي، فالأشعار لا تتقد شرارتها إلاّ في حالة شعور حاد بانثلام مجدٍ أو انتهاك عرض أو استلاب مُلك[٧].

فمن هنا نرى أنّ جانباً كبيراً من شعر المتنبي هو شعر سياسي يتميز بموقف حاد تجاه العصر، وأنّ نرجسيته هي ردٌّ ذاتي على الاضطهاد الذي توجهه السلطات إلى الأفراد، ولقد فهم الانحطاط فهماً سياسياً،

(1) مقال بقلم عباس محمود العقاد/ مجلة الهلال/ المجلد العاشر/ جمادى الأولى – ١٣٥٤هـ، ص١١٢٤.
(2) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري/ قحطان رشيد التميمي/ دار المسيرة/ بيروت [د. ت]، ص١٥٦.
(3) تاريخ الأدب العربي/ عصر الدول والإمارات/ ص٥٩٧.
(4) تجارب الأمم/ ابن مسكويه/ مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر ١٩١٠، ٦٦/٥.
(5) ظهر الإسلام/ احمد أمين/ ط٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢، ٩٠/١.
(6) لغة الحب في شعر المتنبي/ عبد الفتاح صالح نافع/ الطبعة الأولى/ دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان – ١٩٨٣،ص٢٤
(7) ينظر: الموثبات في الأدب العربي/ د. عادل جاسم البياتي/ بحث – مجلة آفاق عربية/ ص١٨.

وأخلاقياً، فهمه بوضعه ترديا ألمَّ بالرجولات حتى أصبح الحُرّ عبداً والعبدُ معبوداً"[١] أضف إلى ذلك كلّه انّ ما شغل بال المتنبي وهزّ كيانه "هو أنّ هذا الرجل يعيش في برهة التمفصل بين عصرين العصر الذهبي للأمة، والعصر المنحط، وأبو الطيّب يُدرك جيداً أن الماضي الرجولي الذي لا يستطيع أن يتكيّف إلاّ معه، أخذ بالتدهور والانهيار وسقوط عصر الرجولات أمرٌ كبير بالنسبة إلى النرجسي، إذ هو يعي سقوط عالمه الداخلي بالدرجة الأولى، كما بقي فراغ العالم من قيمه الكبرى، وهنا بالضبط نملك أن ندرك علة ترسخ اللاجدوى في نفسية شاعرنا"[٢].

فالشاعر لم يكن بعيداً عمّا يجري بل كان في خضم الأحداث يتأثر بها.. ويتفاعل معها فتعمّق في نفسه القلق من عدم عودة القيم العربية.. فتمثل ذلك بقوله[٣]:

وإنّــي لَمِــنْ قــومٍ كــأنَّ نفوسَــنا بهــا أَنَــفٌ أن تَــسْكُنَ اللحــمَ والعَظْمــا

ويقول أيضاً[٤]:

يقولـون لـي مـا أنـت؟ فـي كـلِ بلـدةٍ ومـا تبتغـي؟ مـا ابتغـي جـلَّ أن يـسمى

ويستمر المتنبي في حملته مُصرحاً عن ضيقه بسيطرة الأعاجم وهو ينفث ألماً وحسرة على ما آل إليه وضع العرب فيقول[٥]:

بِكــلِّ أرضٍ وطئتُهــا أُمَــمٌ تُرعــى بعبــدٍ كأنّهــا غَــنَمُ

وشكوى المتنبي المستمرة قادته إلى أن يُعلن موقفه الصريح من حكّام عصره فيقول[٦]:

ولا أعاشِـرُ مـن أملاكهـم أحـداً إلاّ أحـقَّ بـضرب الـرأس مـن وثـنِ

كما يقول أنه لا يستثني منهم أحداً[٧]:

ميعــادُ كــلِّ رقيــق الــشفرتين غَــداً وَمَــنْ عَــصَى مِــنْ مُلُــوكِ العُــرْبِ والعَجَــمِ

إن كره المتنبي لساسة عصره لما لمس منهم ظلم وغيره.. قد ولّد في نفسه الخروج على سلطان السياسة ممجداً مّنْ يخرج على السلطان وكأنها إشارة مبطنة لتحريض الشعب وتأليبه على الحكّام[١] فانظر

(1) لماذا صمد المتنبي؟ يوسف اليوسف – مجلة المعرفة – العدد ١١٩ – ٢٠٠ – السنة السابعة عشرة – أيلول ١٩٧٨ – دمشق – ص٨٣.
(2) المصدر نفسه: ص٨٧.
(3) شرح ديوان المتنبي: ١٧٣/٤.
(4) المصدر نفسه: ١٧٢/٤.
(5) المصدر نفسه: ١٣٤/٤.
(6) شرح ديوان المتنبي: ٢٥١/٤.
(7) المصدر نفسه: ١٢١/٤.

ماذا قال في ختام قصيدة في سيف الدولة عندما أخمد ثورة المبرقع وأصحابه سنة ٣٣٧هـ وأبياته تحملُ سخطه وتضجره من فعل سيف الدولة على الرغم من علاقته به(٢):

فـذي الـدارُ أخـونُ مـن مـومس ... وأخـدَعُ مِـنْ كِفّـة الحابـلِ
تفـانى الرجـال علـى حُبّهـا ... ومـا يَحْـصُلُونَ علـى طائـلِ

إذاً ولادة المتنبي في حومة الاضطرابات المتعددة الأشكال والوجوه، إذ ولد في بيئةٍ كان الدم يسبغها من حينٍ إلى حين.. كان الدمُ يصبغها ثم لا يكاد يجفَّ حتى يسفك دمٌ آخر – على حد تعبير طه حسين(٣)– ووسط هذه الأحداث الدموية التي نشأ فيها وهو يشهد الصراع المأساوي بين العرب والأعاجم مما رسّخ في نفسه تلك الصور المرعبة التي بعثت في نفسه الألم والحسرة إذا ما علمنا أن القرن الرابع الهجري كان مسرحاً للأحداث الدموية التي طبعته بهذا الطابع المأساوي.

فالمتنبي عاش تمزّق الأمة العربية ولحظات احتضارها.. فلذا عاشت شخصيته جدلاً مع عصرها، لأنّه يحمل روحاً عربية حتى النخاع، والمتنبي يرسم صورة ساخرة لحكّام عصره حين قال(٤):

فـؤادٌ مـا تـسليه المُـدَامُ ... وعُمـر مثـلُ مـا تَهَـبُ اللّئـامُ
ودهـرٌ ناسُـهُ نـاسٌ صـغارٌ ... وإن كانـت لهـم جثـثٌ ضِـخامُ
ومـا أنـا فـيهم بـالعيش فـيهم ... ولكـن مَعْـدنُ الـذهبُ الرغـامُ
أرانـبُ غَيْـرَ أنّهُـمُ ملـوكٌ ... مفتحـةٌ عُيـونُهُمُ نيـامُ
بأجـسامٍ يَحَـرُّ القتـلُ فيهـا ... ومـا أقرانهـا إلاّ الطعـامُ

نلمس أنّ المتنبي في هذه الصورة يميل إلى الحكمة فضلاً عن اصطباغها بالسخرية "ولعل تلك الأعباء الثقيلة التي ألقت بوزرها على الشعراء، فذاقوا مرارة العيش مع عامة الناس في ذلك العصر، قد أنطقتهم بالحكمة التي أطلّوا منها على الحياة وتعقيداتها، ويُعدّ المتنبي من أبرز الشعراء الذين استطاعوا أنْ يُضمّنوا حِكمهم حصيلة وافرة من شكوى الواقع السياسي، فالمتنبي يأتي بالحكمة الساخطة حيناً، والواقعة الحزينة حيناً آخر وهو بين النقمة والحزن"(٥).

ويُعدُّ المتنبي في صدارة شعراء القرن الرابع الهجري في استيعاب الحكمة، ولم يُعرف شاعرٌ في هذا القرن يوازيه إلا ما كان من أبي العلاء المعري(٦).

الباعث الاجتماعي

من المعلوم أن طبيعة الفرد وأخلاقياته نتاج طبيعي للمجتمع الذي يعيش فيه والبيئة التي يحيا فيها فمن الطبيعي أن يتأثر بها ويؤثر فيها.. والمجتمع الذي عاش فيه المتنبي تأثّر بكثير من العادات والتقاليد الفارسية التي تسربت إليه بسبب تمازج العرب بالأعاجم وغيرهم، فتسللت إلى حياته اليومية من مأكل وملبس ومشرب، مما أدى إلى ضياع كثير من القيم الاجتماعية التي تحطمت على صخرة المادة.. وقد أجمل باحثٌ معاصر النظرة إلى الحياة الاجتماعية في القرن الرابع الهجري بـ "انهيار قيم العصر وتحللها وتدهور

(1) المتنبي بين الاغتراب والثورة/ ص٧٦.
(2) شرح ديوان المتنبي: ١١٩/٣، ١٢٠.
(3) مع المتنبي/ طه حسين/ الطبعة ١٢/ دار المعارف – مصر، (د. ت).
(4) الديوان: ١٤٢/٤.
(5) ذكرى أبي الطيّب المتنبي بعد ألف عام/ عبد الوهاب عزّام/ ط٢ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٥٦ ص٢٠٠.
(6) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي/ د. شوقي ضيف/ ص٢٤٣.

العلاقات الاجتماعية والأعراف الدينية والقبلية التي كان يرتكز عليها المجتمع الإسلامي بعامة والمجتمع العراقي بخاصة"[1].

ولم يكن المتنبي منسجماً مع مجتمعه بسبب وعيه الفكري وصراع القيم الذي فجرته الحياة الجديدة.. فلذلك كان شعره يُقدّم صورةً لحالة الوعي التي يعيشها، ويبرز عمله الفلسفة الفكرية والإدراكية والثقافية والنقدية له وهو يحيا حياة يعيش ملامحها بكل تجلياتها السياسية والاجتماعية والسلوكية في صورتها الإنسانية الأعم والأشمل دون أن يتخلّى عن فرديته وشخصيته التي تأبى إلاّ أن تظهر في أحواله، وتصرفاته، وقصائده، ومواقفه، وآرائه، فتزيده إمّا إقداماً نحو الآخر، وانفتاحاً شاملاً عليه، وإمّا نكوصاً باتجاه العزلة والوحدة والتغرّب، ملقياً بنفسه وآمالها وطموحاتها وآثامها في ركن قصي عند هامش الحياة.. وهذا ليس ضعفاً أو هروباً، وإنما من باب الترفع وإنكار كلّ ما هو تافه ولا يرقى إلى مستوى هذا الشاعر الكائن الكبير.. فالشاعر ابن بيئته، مكدودٌ إليها.. مطبوعٌ بها.. يعيش زمانها، محاط بأطياف مكانها.. مستغرق بفضاءاتها وقضاياها ومشاكلها وظروفها السياسية والاجتماعية والمعيشية والدينية والثقافية والفكرية والأخلاقية.. منسجم مع أفرادها مادام مثلهم لا يختلف وعيه عن وعيهم، متصالحٌ مع من حوله مادام لا يشعر بتفوقه عليهم ولكن متى يغدو هذا الشاعر متغرباً عن بيئته وساكنيها، وأحوالهم وطبيعة حياتهم وقيمهم؟ وذلك عندما يشعر بذاته فوق ذات الآخرين، إذ تتضخم أناه ويزداد وعيه، ويشع بمركزيته بدوران الآخرين في داره وفلكه.. بل ويشعر بالتعالي إلى حدٍّ كبير.. وبالأهمية والمكانة التي لا يطالها أحد على الأقل في مجال القول.. والشعر.. والقوافي.

ألم يقل المتنبي مفتخراً[2]:

مـــا مقـــامي بـــأرض نخلـــةَ إلاّ كمُقـــام المـــسيح بـــين اليهـــودِ
...إنْ أكـــن مُعجبـــاً فَعُجْـــبُ عجيـــب لـــم يجـــد فـــوق نفـــسه مـــن مزيـــدِ

إن التضخم الفكري لدى المتنبي كواحد من شعراء العصر العباسي لا يُحدّ وتبدو البيئة قاصرة عن استيعاب هذا الفضاء النفسي له فلا الأحوال ترضيه ولا القيم السائدة تسعفه فأصبح مقياس تقويم الرجال مختلاً إذ أصبح صاحب العقل يشقى في هذه الحياة والجاهل ينعم بالملذات وهذا الفساد الاجتماعي بعينه متمثلاً في منطق تفكير الناس فيقول[3]:

ذو العقـــل يـــشقى فـــي النعـــيم بعقلـــهِ وأخـــو الجهالـــة فـــي الـــشقاوةِ يـــنعم
والنـــاس قـــد نبـــذوا الحِفـــاظَ فمُطْلَـــقٌ ينـــسى الـــذي يـــولي وعـــافٍ ينـــدم

فالشاعر هنا يعيش أزمة.. لأن المعايير غير مقبولة.. فالعاقل أصبح شقياً، والجاهل رافلاً بأثواب التنعم.. وهذه المقاييس لا تبدو مقبولة لدى الشاعر فغدا الشاعر متجهاً شيئاً فشيئاً إلى الرفض والتمرد، وعدم القبول متخذاً الانكفاء ومقيماً بينه وبين الناس حاجزاً ممعناً في تغربه عن الآخرين.. والسبب الذي يقف وراء هذا السلوك هو ضياع القيم في المجتمع الجديد والمادي.. فالترف واللذة واللهو والمجون والعبث والانغماس في الحياة المادية الاستهلاكية التي كانت تربة خصبة للناس، وميداناً فسيحاً لضياع وزوال القيم الفاضلة وبروز نقيضها وفي ذلك يقول الناقد عمر فروخ مصوراً تحوّل الناس باتجاه التحضر والتمدن في العصر العباسي "فدعاهم النزول في الحضر إلى اللهو والترف وإلى ضياع كثير من محامدهم ثم انتشر بينهم كثير من مساوئ المدنية".

---

(1) المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة/ عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي/مكتبة النهضة – بغداد – ١٩٧٣م، ص٢٧.

(2)شرح ديوان المتنبي: ٣١/٢، ٣٤.

(3)المصدر نفسه: ١٨٥/٤.

إن ضياع القيم في المجتمع العباسي الجديد واضطراب الأمور كانت من أهم أسباب تغرّب الأدباء وقد تجلّى هذا التغرّب في ثنائية المكان والزمان بوجود مظاهر عديدة وتجليات مختلفة منها ذمّ الناس والدهر والصديق.. لابُد أن ينعكس هذا في شعره غضباً وحنقاً وذماً وكراهية.. بل وتنديداً لنستمع إلى المتنبي الذي يبحث عن صديق يجد فيه معنى الناصر لمساعدته في سبيل الوصول إلى هدفه المنشود فيقول(١):

أما في هذه الدنيا كريم تزول به عن القلب الهمومُ
أما في هذه الدنيا مكان يُسَرُّ بأهلِهِ الجَارُ المُقيمُ

لقد خاب أمل المتنبي في أهل عصره لما وجد ما تخفيه سرائرهم من كره وعداوة لبعضهم بعضاً.. لذا كانت أحكامه منهم ليست وليدة الصدفة وإنما عن تجربة عميقة أمدته بها تجاربه في الحياة لذا يبيّن حكمه فيهم قائلاً(٢):

إذا ما الناس جرّبهم لبيب فإنّي قد أكلتُهُمُ وذاقا

فظلّ المتنبي يشكو عدم وجود الصديق الحقيقي فلذلك نعى البلاد التي ليس فيها صديق(٣):

شرُّ البلاد مكانٌ لا صديق بهِ وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يَصِمُ

وعندما ساءت أخلاق الناس رمى سهمه اللاذع على أهل عصره قائلاً(٤):

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيلَهُ فأعلمُهُمْ فَدْمٌ وأحزمُهُمْ وغدُ
وأكرمُهُمْ كلبٌ وأبصرُهُمْ عَمٍ وَأسْهَدُهُم فهدٌ وأشجعُهُمْ قِردُ

ولذلك راح المتنبي يشنُّ حملته على أهل عصره "وقد أولع بذم أهل عصره، ولم يلتزم ذلك الاعتدال، ولم يتوخَ القصد"(٥) إذ يقول في هذا الصدد(٦):

مَنْ لي بفهم أهيل عصر يدعي أنْ يَحْسُبَ الهنديَّ فيهم باقِلُ

وخلال حياته المليئة بالحزن والألم على ما يجري في مجتمعه.. بحث وسط هذه الأجواء عن صديق حقيقي يؤانسه في وحدته الاجتماعية فلم يجد إلا الصداقة المبنية على المصالح الشخصية والمنافع الذاتية فشبّه شحة الأصدقاء بقلة الخيول الأصيلة مع كثرتها فقال(٧):

وما الخيل إلا كالصديق قليلةٌ وإنْ كثُرت في عينِ مَنْ لا يُجربُ

ولكن المتنبي حينما يئس من إصلاح أخلاق الناس أخذ يُحذر منهم، ومن الوقوع في مكائدهم قائلاً(٨):

---

(1) شرح ديوان المتنبي: ٢٠٧/٤.
(2) المصدر نفسه: ٣٥/٣.
(3) المصدر نفسه: ٦٨/٤.
(4) المصدر نفسه: ٦٥/٢.
(5) على هامش الأدب والنقد: علي أدهم، دار الفكر العربي بمصر، ص٨٢.
(6) شرح ديوان المتنبي: ٢٧٥/٤.
(7) شرح ديوان المتنبي: ٢١٣/١.
(8) المصدر نفسه: ٢١٧/٤.

وكـن علـى حَـذَرٍ للنـاسِ تَـسْتُرُهُ ولا يَغُـرَّك مـنهم ثَغْـرُ مُبْتَـسِمِ

ومن هذا نستنتج أن نظرته للناس والمجتمع وجد خلالها أنّ القيم الاجتماعية ليست سوى حيل يحتال بها الناس لدفع أذى أو نيل مآرب[١].

الباعث النفسي

إنّ تناقضات عصر المتنبي الكثيرة وتركيبته المعقدة ونفسه القلقة أوجدت لديه بلبلة نفسية وفكرية أشعرته بالغربة داخل محيطه الحسي فمن هنا نشأ التوتر بين الذات والموضوع الذي هو في حقيقته توتر بين الواقع الأليم والحلم المنشود.. فقد كانت ذاته ذاتاً واعية أرادت أن تحمي الآخرين والمتنبي في أطوار حياته ملازمٌ للطموح، فهو الذي عايش وعاصر الأحداث والأزمات "فشخصيته المتفردة كان القلق ميزةً من ميزاتها.. فقد نشأ وهو يحمل أزمات عصره وأحداثه، وظلَّ القلق لديه يكبر كلّما كبر، ويتسع كلّما اتسعت حياته، ولازمه وكأنّه جزءٌ من طبيعته حتى آخر أيامه"[٢].

وهذا القلق هو الذي دفعه إلى أن يكون دائماً في حلٍّ وارتحال، فالحزنُ والقلق دفعا الشاعر للإصرار على التنقل والرحيل.. ليتجاوز ما يسكنه من إخفاق وإحباط[٣]. إذ يقول المتنبي في هذا الصدد[٤]:

كـــأنّ الحُـــزْنَ مـــشغوفٌ بقلبـــي فَـساعَةَ هجرِهـا يَجِـدُ الوصـالا
كـذا الـدُّنيا علـى مَـنْ كـان قبلـي صُـرُوفٌ لـم يُـدِمْنَ عليـهِ حـالا
أشَـدُّ الغَـمِّ عنـدي فـي سـرورٍ تـيقَّنَ عنـهُ صـاحِبُهُ انتقـالا
أَلِفْـتُ تَرَحُّلِـي وَجَعَلْـتُ أرْضِـي قُتُـودِي والغُرَيْـرِيَّ الجُـلالا
فَمَـا حاولـتُ فـي أرْضٍ مُقَامـاً ولا أَزْمَعْـتُ عَـنْ أرضٍ زَوَالا
علـى قلـقٍ كـأنّ الـريحَ تحتـي أُوَجِّهُهـا جنوبـاً أو شَـمالا

إن الهمَّ الذي سيطر على شخصية المتنبي هو همُّ العيش الذي عُدَّ من همومه المبكرة، ولعل هذا الهم هو شيءٌ أساس في حياة شاعر مرهف يُحبُّ الحياة، وأن يكون مصدرٌ ذا شأن في لهجة الشكوى وذمّ الزمان التي طبعت بها أوائل أشعاره[٥] فالمتنبي منذ أن وعى الحياة فتح عينيه على ظروف قاسية لا يمكن مقارنتها بتلك العصور التي كان فيها العربي رمزاً لتلك الأنفة التي أنتجت كياناً رائعاً وحضارة شاملة.. هذا النظام السياسي للأمة العربية بدأ ينحدر وذلك الشموخ أخذ يتهاوى في عصر المتنبي.. والمتنبي إزاء كلّ ذلك لا يملك إلاّ نفسه وإيمانه، وفي دراسة أجراها باحثٌ معاصر[٦] في تحليل نفسية المتنبي استخلص أنّ شخصيته ونفسيته كانت تعاني من عدم توازن واستقرار طبيعي في جانب وفي جانب آخر بيّن أن الغلبة في شخصيته ومزاجه النفسي تتجه نحو الانبساطية والواقعية، وهذا يُفيد أنه كان يجمح في نفسيته المتضارب من الخصائص، وهو تضارب تميّز به شعره بدليل قوله[٧]:

وما الجمعُ بين الماء والنار في يدي
بأصعبَ مِنْ أَنْ أجمعَ الجَدَّ والفَهْمَا

(1) الموسوعة العربية الميسرة، خليل شرف الدين، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٢، ص١٤٣.
(2) أبو الطيّب المتنبي وظواهر التمرد في شعره/ د. زهير غازي زاهد/ عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ، ص٣٦.
(3) ينظر: المعجم الفلسفي/ د. جميل صليبا/ دار الكتاب اللبناني – بيروت – ١٩٨٢، ص٤١.
(4) شرح ديوان المتنبي: ٢٤٨/٣ – ٢٤٩.
(5) ينظر: ديوان المتنبي/ شرح اليازجي، اختصره سليمان العيسى/ دار طلاس/ دمشق/ د. ت/ ص٢٠ – ٢١.
(6) ينظر: المتنبي والنفس/ د. علي كمال/ مقال/ آفاق عربية/ السنة الثالثة/ كانون الأول ١٩٧٧/ ص٢٠.
(7) شرح ديوان المتنبي: ١٧٣/٤.

والمتأمل من حصيلة هذا الفحص النفسي يتضح أن المتنبي في حياته النفسية كان انفعالياً، عنيفاً، عدوانياً على الحياة وعلى الناس وحتى على نفسه إذ يقول[١]:

ولـو بَـرزَ الزمـانُ إلـيّ شَخْـصاً لخَـضّبَ شَـعْرَ مَفْرِقِـهِ حُـسَامي

وقوله[٢]:

ومـن عـرف الأيـام معرفتـي بهـا وبالنـاس رَوَّى رُمْحَـهُ غَيْـرَ راحِـمِ

وأنه كان يمقت الاستقرار، كثير الانتقال فيُعبّر عن ذلك قائلاً[٣]:

تَغَـرّبَ لا مُـستعظماً غيـرَ نفـسِهِ ولا قـابلاً إلاّ لخالقـهِ حُكْمـا

ونجد في الجانب الآخر عنده إقبال على الحياة وسعيٌ لا يتوقف بدليل قوله[٤]:

يقولون لـي مـا أنت في كل بلدةٍ
وما تبتغي، ما ابتغي جُلّ أن يُسمى

وفي جانب آخر نجد فيه نزعة إلى السوداوية والركون إلى الألم والتشاؤم[٥]:

زيـدي أذىً مهجتـي أزدك هـوىً فأجهـل النـاس عاشـقٌ حاقـد

وأقل ما فيه السكون والخمود[٦]:

وإنّـي لمـن قـومٍ كـأنَّ نفوسَـنا بهـا أَنَـفٌ أن تَـسْكُنَ اللحـمَ والعظمـا

ويُلخص المتنبي بتصوير رائع لمعالم نفسيته بقوله[٧]:

كذا أنا يـا دُنيا، إذا شئتِ فاذهبي
ويا نفسُ زيدي في كرائهها قُدْما
فلا عبرت بـي ساعةً لا تُعزُّني
ولا صحبتني مهجةٌ تَقْبلُ الظُّلْما

ومَنْ يُنعم النظر في هذين البيتين يجد رسماً دقيقاً معالم نفس المتنبي الداخلية بما تحمله من عنف واعتدادٍ بالنفس في وجه الدنيا والناس. ومن إقبال على الحياة إلى ما يُناقضه من سأم منها ورغبة في إيذاء نفسه فالمتنبي لم يُهادن الحياة أو يسايرها بذاته لأنها ذات سلبية "لا تستطيع أن تحبس نفسها داخل التاريخ والواقع، بل تتجاوزهما وتعلو فوقهما تاركةً نفسها لعفوية الفكر، وهي الذات المغالطة التي تخضع سلبيتها

(1) المصدر نفسه: ١٢٢/٤.
(2) شرح ديوان المتنبي: ١٧٦/٤.
(3) المصدر نفسه: ١٧٢/٤
(4) المصدر نفسه: ١٧٢/٤.
(5) المصدر نفسه: ١٧٢/٤.
(6) المصدر نفسه: ١٧٣/٤.
(7) المصدر نفسه: ١٧٥/٤.

لموضوعية مزعومة"[١] وهذه هي ذات المتنبي، إذ لم يستطع أنْ يعيش بعيداً عن أحداث عصره، أو أن يحبس نفسه داخل تاريخه الخاص، فقد أحس بواقعه إحساساً عنيفاً، ولكنه لم يذب فيه بل تسامى فوقه وظلّ يطمح إلى تجاوزه وتغييره.. وربما كان هذا سببٌ في تطرفه الفكري "إذْ يبدو في تأمّله للواقع تتجاذبه من جهة، قوىً متقابلة قد لا يتيسر الجمع أو التوفيق بينهما ويخضع من جهة أخرى إلى نزعاته المثالية فلا يتسنى له الفرز والتأني في تحليل المواقف"[٢].

لذلك كان انفصاله عن الآخرين والانسلاخ عنهم لا يعني موقفاً أنانياً أو نرجسياً بل يعني وقوف الفكر المثالي عاجزاً أمام عالم التجربة الفعلية، وبما انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً، فلذا رجع إلى عالمه المثالي المنظم غير المقيّد بقوانين النسبة أو الزمان والمكان، ونعني به عالم الشعر لتحقيق هذه الذات[٣]. وهذا ما نلحظه في مدائحه إذ كان يُقسم ذلك بينه وبين الممدوح ولا يترك لممدوحه إلاّ القليل وبذا كسر قوانين المديح التي توارثها الشعراء، إذ كان يرى نفسه فوق الممدوح، ويُدرك تماماً أن الناس لا يماثلونه نظرته ولا يفكرون مثل تفكيره.. إذ يقول في هذا الصدد[٤]:

ودهـرٌ ناسُـهُ نـاسٌ صِـغَارٌ وإن كانـت لَهـم جُثَـثٌ ضِـخَامُ

فهذه المفارقة في حياة المتنبي يُعلّق عليها الدكتور طه حسين بقوله إنه "يمتلك طاقة ديناميكية هائلة لم تأتلف وظروف حياته، وأحداث زمانه، فظلّت تبحث عن منفذٍ ولا تجده وتتمثل في تناقض يتخذ أشكالاً منوعة من إقبال وإدبار على أمر بعينه، ومديح وهجاء لشخص بذاته وجلٍّ وترحال، وحدة وانفعال ورفعة وانخفاض، وقبول هبات لا تتفق ونوازع الكبرياء في نفسه"[٥] والمتنبي كما عُرف عنه أنه كان "قوي الحس حاد المزاج عنيف النفس مندفع بحكم هذا كلّه إلى الغلو والإسراف"[٦]. وعلاوةً على ذلك فإنّه كان "ينطوي على نفسية انعزالية في باطنها قد لا تقل عن انعزالية أبي العلاء، والذي منعه من أن يسبقه فيُصبح رهين داره وطموحه وآماله الواسعة وحيويته"[٧] فالمتنبي كان يريد من الزمن ما لا يستطيع الزمن أن يبلغه.

الفصل الثاني

المتنبي متحدياً

نوهنا فيما مرَّ من صفحات أنّ حياة أبي الطيّب المتنبي وسيرته انطوت على كثير من الأسرار التي تنتظر أقلام الباحثين للوقوف عندها وكشف جوانبها، فالمتنبي الشاكي الغريب المتبرم من الزمان وغيره لم يقدْهُ تبرمه وضجره إلى الاستسلام واليأس بل ظلّ مواجهاً متحدياً غير آبهٍ بما لقيه من محنٍ وخطوب على الرغم من كثرة مبغضيه الذين راحوا ينغصّون عليه كلّ ما لقيه حتى ما شكا منه، فَلْتسْمعهُ يتساءل مُعلناً هذا العجب العُجاب[٨]:

مـاذا لقيـتُ مـن الـدنيا وأعجبـهُ إنـي بمـا أنـا شـاكٍ منـهُ محـسودُ

(1) مبادئ النقد الأدبي/ رتشاردز/ ترجمة وتقديم د. مصطفى بدوي/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصري/ ١٩٦٣/ ص٣٢١.
(2) المصدر نفسه: ص٣٢٣.
(3) ينظر: المفارقة في شعر المتنبي/ أ. د. عبد الهادي خضير/ بحث/ مجلة المورد مج ٣٥ – العدد الأول – ٢٠٠٨، ص٦٢.
(4) شرح ديوان المتنبي: ١٤٢/٤.
(5) المحصول الفكري/ سهل عثمان ومنير كنعان/ دار الإرشاد – بيروت/ ط ١٩٦٩م/ ص٢٢١.
(6) مع المتنبي/ طه حسين/ ص١٧١.
(7) المتنبي شاعر العظمة والطموح/ د. المنجي الكعبي/ ضمن كتاب مالئ الدنيا وشاغل الناس/ ص١١٨.
(8) شرح ديوان المتنبي: ١٠٠/٢.

مظاهر التحدي في فنه الشعري

المبحث الأول

تقديس البطولة وتمجيد القوة

لمحة دالّة

كانت البيئة العربية تدفع إلى الصراعات والمنازعات بين القبائل، فانتشرت الحروب والغزوات، وانتشر الخوف والفزع، وقد كثرت الوقائع كثرة جعلت العرب تسميها "الأيام"[١]، فكان من الطبيعي أن تكون القوة وأدواتها الحربية سبيلاً للدفاع عن أرضهم وعرضهم وما يملكون.

فثمة علاقة بين المقاتل، وما يتوافر له من سلاحٍ يتحدى به الأعادي والطامعين، فالمقاتل ينبغي أن يكون شجاعاً، وهي صفة جوهرية للبطولة عموماً، فتتمثّل في البأس ورباطة الجأش والمراس، وأن يكونَ الشجاعُ مقداماً غير هيّاب في سوح الوغى، وهو كذلك في إطار الحياة الاجتماعية، لكنها أبلغ ما تكون من خوض الحروب حيث الموت يترصد البطل هاجساً وفعلاً[٢]، وعودٌ على معنى البطل والبطولة إذ نجد في المعجمات العربية أنّ لفظة (بطل) وردت بمعانٍ كثيرة منها "بطل الشيء يبطلُ بُطلاً وبطولاً، والبطل الشجاع سُمي كذلك لأنّه يعرضُ نفسه للمتالف"[٣] و "رجلٌ بطل بين البطالة والبطولة شجاعة تبطل جراحاته فلا يكترث لها ولا تبطل نجادته، وإنما سُمي بطلاً، لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها، وقيل سُمي بطلاً لأنّ الأشداء يبطلونَ عنده، وقيل هو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأرٌ من قومٍ أبطال"[٤]. ولا يختلف عن هذه المعاني ما نجده في القواميس الغربية، فمعجم (أكسفورد) يرى: أن البطل (Hero) هو المحارب العظيم والمجاهد الشجاع، ويكاد معجم (لاورس) الفرنسي يتفق معه في هذا الاتجاه، والذي يفهم من هذا أن البطولة تفوق في الشجاعة عن المألوف، وأنّ البطل مزوّد بقوة نفسية نادرة[٥]. أما البطولة اصطلاحاً فقد وردت في نهاية الأرب في فنون الأدب أنّ (حبّ العرب للشجاعة جعلهم يقسمونها على ثلاث درجات على حسب درجة الرجال، فقال بعض أهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل، فالفارس الذي يشدّ إذا شدّوا، والشجاع الداعي إلى البراز والمجيب داعيه، والبطل الحامي لظهور القوم إذا ولّوا)[٦]. وقد ينظر إليه أحياناً بوصفه رمزاً تجسدت فيه الآمال وتحققت في نهجه الرغبات وتمثلت في أعماقه البطولة المحببة، فأصبح صورة متمكنة من كل نفس ورمزاً يتوقُ إليه الآخرون[٧]. وحاصل ما قدمّنا في هذه اللمحة أن البطل دلالةٌ تتجاوز حدود الشجاعة المشتملة على قوة غير متناهية تتضاءل دونها وتبطل عندها كل شجاعة.

بيد أن تحولاً قد طرأ على دلالة صورة البطل، فصورتهُ في الجاهلية منتزعة من القبلية في أوضح مظاهرها، كما أنها فردية أظهر فيها الأفراد بطولاتهم ومقدرتهم الخارقة، إلاّ أنّ الفردية مهما علت تؤول إلى الجماعة القبلية، لذوبان شخصية الفرد في جماعته (القبيلة) على شاكلة قول الشاعر الفارس دريد بن الصمة:

وما أنا إلاّ من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشدِ

(1) ينظر: أيام العرب قبل الإسلام/ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩هـ)، ص٧٧، وينظر كذلك: الشعراء الفرسان: بطرس البستاني، ص٢٢، وأيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي: منذر الجبوري، ص٧٣.

(2) حول القيام الإنسانية لشعر الحرب في العصر الجاهلي: د. محمود عبد الله الجادر، دراسات للأجيال، العدد ١، السنة الثالثة – ١٩٨٢، ص١٠٣.

(3) معجم المقاييس في اللغة/ أبو احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)/ تحقيق شهاب الدين أبو عمر/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت)/ مادة بطل/ ص١٣٦.

(4) لسان العرب/ مادة بطل: ٤٣٢/١.

(5) ينظر: البطولة والأبطال: د. محمد احمد الحوفي/ مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٧، ص٩.

(6) نهاية الأرب في فنون الأدب/ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري/ تحقيق: د. علي أبو ملحم، دار الكتب العلمية – بيروت (د. ت)، ٢٢٠/٣.

(7) ينظر: شعراء أمويون: د. نوري حمودي القيسي/ مؤسسة دار الكتب للطباعة/جامعة الموصل – ١٩٧٦، ص١٣.

ثم جاء الإسلام فكانت صورة البطل منطلقة من فكرة ملتزمة بعقيدة مهذبة خالية من التعصّب القبلي والنزعات الفردية، حتى رُبطت بفكرة الجهاد والوجدان الجماعي للأمة[١]. ونمضي إلى عصر بني العباس فتتطور دلالة صورة البطل إذ أصبح شعر البطولة في العصرين الأول والثاني يدور حول تعبئة الجيوش وزحفها ووصف الأسلحة والخيول والأساطيل والنصر وفرار العدو وما إلى ذلك. أما في عصر المتنبي فقد طبعت صورة البطل بما ابتلي به العرب الذين لم يملكوا من زمام أمور الدولة وإدارة أمور حياتهم إلاّ القدر الضئيل بسبب سيطرة الأتراك والأعاجم، لذا توجه الشعر الحربي إلى الإلمام بهذه المعاني، ولاسيما صورة المنقذ (البطل) إذ أنّ هذه المعاني لم تبلغ الذروة في النضج إلا على يد أبي الطيب المتنبي، إذ أوقف أروع شعره على بطله سيف الدولة الحمداني، فالمتنبي حين يرسم صورة البطل يصف هيأته بشكل لا يترك زيادة لمستزيد، ويضفي عليه أوصافاً خاصة، فهو الرائع الجميل في منظره[٢]كما صوّره المتنبي بقوله[٣]:

عـن ذا الـذي حُـرِمَ اللُّيُـوثُ كَمَالَـهُ يُنْـسي الفريـسَةَ خَوْفَـهُ بِجَمَالـهِ

ثم يعمد إلى جعله مكتمل الصفات إذ لا شبيه له[٤]:

وَعلَّمُـوا النـاسَ مِنْـكَ المَجْـدَ واقْتَـدرُوا على دقيـقِ المعـاني مـن معانيكـا
فَكُـنْ كمـا أنْـتَ يـا مَـنْ لا شـبيه لـه أو كيـفَ شِـئْتَ فمـا خَلْـقٌ يـدانيكا

فهو شهابٌ يروّع الأبطال لقاؤُهُ حتى تتقي الاشتباك معه، فهو معلوم لدى أعدائه غير خافٍ على أحد يتوسط الخميس الزاحف[٥]:

يَهـزّ الجـيشُ حَوْلـكَ جانبيـه كمـا نَفَـضتْ جَنَاحَيهـا العقـابُ

وهو المعلوم والبطل (المُعْلَم) الذي يتطلع إليه جيشه ويقتدون به[٦]:

إذا مـا العـالمونَ عَـرَوْكَ قـالوا أَفِـدْنا أَيُّهَـا الحِبْـرُ الإمـامُ
إذا مـا المُعْلِمُـونَ رأوْكَ قـالوا بهـذا يُعْلَـمُ الجـيش اللُّهـامُ

بيد أن الصفات الجسمية المثالية للبطل المتنبي لابد أن تعزز بالقوة والمضاء. إذ جعل مضاء سيف البطل لا للسيف بل لقوة ساعده، فالسيف لا تأتيه القوة من ذاته ولكن من قوة المقاتل أو من القوة التي يحملها البطل فيقول[٧]:

وَتنْـسُبُ أفعـالُ الـسُّيُوفِ نُفُوسَـها إليـه وَينْـسُبْنَ الـسيوفَ إلـى الهنـدِ

وما أكثر ما يستغرق المتنبي في وصف هيأة البطل الجسدية وهو يستوي على فرسه فيقول[٨]:

بمـن تـشخص الأبـصارُ يـومَ ركوبـهِ وَيخْـرقُ مـن زَحْـمٍ علـى الرجُـلِ البُـرْدُ

(1) ينظر: هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي/ د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي/ مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ٢٠٠١م، ص٤٦٣، وينظر كذلك: الفروسية في أدب القرن الأول الهجري (رسالة ماجستير) عيادة حرز حبيب – كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٨٣، ص١٠.
(2) ينظر: ملامح من صورة البطل عند المتنبي وقيمته الفنية/ د. مصطفى عبد الحميد (بحث) – مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة، العدد/٩ السنة السابعة ١٩٧٤، ص١١٥.
(3) شرح ديوان المتنبي: ١٦٣/٣.
(4) المصدر نفسه: ٨٦/٣.
(5) شرح ديوان المتنبي: ١٤٥/١.
(6) المصدر نفسه: ١٤٩/٤.
(7)المصدر نفسه: ١١٨/٤.
(8)المصدر نفسه: ٧٥/٢.

وتُلْقِـــي ومـــا تَـــدْري البَنَـــانُ سِـــلاحَها لكثـــرةِ إيمـــاءٍ إليـــهِ إذا يبـــدو
ضَـرُوبٌ لهـامِ الـضّاربي الهـام فـي الـوغى خفيـفٌ إذا مـا أثقـل الفَـرَسَ اللِّبـدُ

فليس ثمة قيمة للصفات الجسدية إذا لم تشفع بالقوة الحيوية بوصفهما يحققان المنفعة والقدرة على التحدي والثبات ويلتقي كلُّ ذلك مع البصيرة في الرأي لكي لا تؤول القوة تهوراً وطيشاً لذا منح المتنبي الرأي المرتبة الأولى؛ لأنّ قطع الصلة بين التخطيط السليم والعمل يقذف بالجهد في دائرة الفراغ، وإنّ اجتماعهما في نفسٍ أبية شجاعة يعني بلوغ المراد وتحقيق النصر في معارك الحياة، حتى إذا تضافرت الصفات جميعها سارت شخصية البطل في طريق الكمال(١)، ولنتأمل قول المتنبي في هذا المعنى الذي يُصوّر فيه أنّ عناصر البطولة من قلبٍ زكي وأنف حمي والتجربة عند النزال(٢):

ويُمجّد المتنبي وسائل سلاح البطل ويُعلي شأنهما، فالبطلُ وسلاحهُ مقرونان، ولابدَّ أن يؤول هذان العنصران إلى التكامل، فهاك ما صوّره المتنبي، إذ يقول(٣):

...الثـــابتينَ فروســـةً كجلودهـــا فـــي ظهرهـــا والطعـــنُ فـــي لَبّاتهـــا
العـــارفين بهـــا كمـــا عَـــرفتْهُمُ والـــراكبين جُـــدُودُهُمْ أُمّاتهـــا
فكأنمـــا نُتِجـــت قيامـــاً تحـــتَهُمُ وكـــأنّهم وُلِـــدوا علـــى صـــهواتِها
إنّ الكِـــرام بـــلا كِـــرام مِـــنْهُمُ مِثـــلُ القلـــوب بـــلا ســـويداواتها

وقد لا يتحقق هذا التكامل إذا فقد أحد هذين الركنين (البطل ووسائله) يقول(٤):

ومـــا تنفـــعُ الخيـــلَ الكِـــرامُ ولا القنـــا إذا لـــم يكـــن فـــوقَ الكِـــرامِ كِـــرامُ

وهكذا أدرك المتنبي البطولة ومعانيها، إذ هي لا تقوم إلاّ بتوهج خصائصها، الإقدام في سوح الوغى ومقارعة الخطوب دون مبالاة، والبطل لا يجدُ ذاته ولا معنىً لحياته وخلوده المعنوي في ضمير قومه إلاّ بالتحدي والإقدام وصولاً إلى الذرى على شاكلة قوله مخاطباً بطله (سيف الدولة) قائلاً(٥):

أنـــتَ الـــشجاعُ إذا مـــا لـــم يَطـــأ فَـــرَسٌ غَيْـــرَ الـــسَّنوَّرِ والأشـــلاءِ والقُلَـــلِ
وردّ بعـــضُ القنـــا بعـــضاً مقارعـــةً كأنّـــهُ مـــن نفـــوسَ القـــومِ فـــي جَـــدَلِ

المكونات المعنوية لصورة البطل

ولابد لبطله أن يخوض غمار هذه الحروب، ويقارع الأبطال بصبرٍ وثبات منقطعي النظير، فلْنتأمل كيف صوّر المتنبي صَبْر بطله سيف الدولة يوم أوقع بعمر بن حابس وبنّي حنسه ليُريك أنّ الصبرَ قرينُ البطولة والتحدي(٦):

وكـــساكَ ثـــوْبَ مهابـــةٍ مـــن عنـــدِهِ وأراكَ وَجْـــهَ شـــقيقِكَ القَمْقَـــامِ
فلقـــد رقـــى بَلَـــد العَـــدُوِّ بنفـــسِهِ فـــي رَوْقِ أرْعَـــنَ كـــالغِطَمِّ لُهـــامِ
قـــومٌ تفرَّسَـــتِ المنايـــا فـــيكُمُ فَـرَأت لكـم فـي الحَـرْبِ صَـبْرَ كِـرَامِ

(1) ينظر: مع المتنبي في شعره الحربي/ د. هاني نهر لعيبي/ ط١ – مطبعة الجامعة – بغداد – ١٩٧٩، ص٩٣.
(2) شرح ديوان المتنبي: ٢٢٦/٤.
(3) المصدر نفسه: ٢٤٥/١، ٢٤٦.
(4) المصدر نفسه: ٨٣/٣.
(5) المصدر نفسه: ١٥٥/٣.
(6) شرح ديوان المتنبي/ ٤: ٩٦.

فلا مندوحة من الصبر والجلد ورباطة الجأش كي لا تضيع خبرة البطل وشجاعته، فسيف الدولة لا تثيره المصاعب، رابط الجأش يحضر الوغى غير مضطرب ولا هيّاب، وهو غير مستغرب في بطل المتنبي الذي يقود المعارك بنفسه، يقول(١):

والـذي يَـشْهَدُ الـوغى سـاكن القَلْـ ـبِ كـأنّ القتـال فيهـا ذمـامُ
والـذي يـضربُ الكتائِـبَ حتـى تتلاقـى الفِهـاقُ والأقـدَامُ
وإذا حـلَّ سـاعةً بِمَكـانٍ فـأذاهُ علـى الزمـانِ حَـرَامُ

وقد أكد هذا شارح ديوان المتنبي أبو البقاء العكبري قائلاً في بطل المتنبي (سيف الدولة) "الثابت النفس، الرابط الجأش، الداعي إلى الصبر إذا طاشت العقول، وخرست الألسن، فلم تقدر الأبطال على الكلام، ولا الخيلُ على الصهيل"(٢).

وفي المعنى ذاته يقول أبو الطيّب المتنبي مختتماً إحدى قصائده في مديح سيف الدولة عند رحيله من أنطاكيا(٣):

وأنـتَ الفـارسُ القـوّالُ صـبراً وقـد فَنِـيَ الـتكلُّمُ والـصهيلُ
يَحيـدُ الـرمحُ عنـك وفيـه قـصدٌ ويقـصرُ أنْ ينـالَ وفيـه طـولُ
فلـو قـدر الـسِّنانُ علـى لـسانٍ لقـالَ لـك الـسِّنانُ كمـا أقـولُ
ولـو جـاز الخلـود خَلَـدْتَ فـرْداً ولكـنْ لـيسَ للـدُّنيا خَلِيـلُ

وبطلُ المتنبي أخو حربٍ قد تعوّد الطعن والضرب يطيل الحرب ويديم الغارات، يقود الخيل ويحكمها وهذا المعنى صوّره الشاعر قائلاً(٤):

لكـلِّ امـرئٍ مـن دهـرِهِ مـا تعـوّدا وعـاداتُ سـيف الدولـة الطَّعْـنُ فـي العِـدا

ولم يكتفِ المتنبي بتصوير بطله شجاعاً مقداماً متحدياً صابراً، بل راح يصوّر رسوخ الفضائل المعنوية الأخرى فيه مثل الكرم والعفو عند المقدرة وما إليهما. فلنتأمل قوله في سخاء ممدوحه سيف الدولة بوصف السخاء ملازماً للشجاعة يقول(٥):

فَبُوركـتَ مـن غيـثٍ كـأنَّ جُلُودَنـا بـهِ تُنْبِـتُ الـديباجَ والوَشْـيَ والعَـصْبَا
ومِـنْ واهـبٍ جَـزْلاً ومـن زاجـرٍ هَـلاً ومِـنْ هاتِـكٍ دِرْعـاً ومـن نـاثرٍ قُـصْبَا
هنيئـاً لأهـلِ الثَّغْـرِ رأيُـكَ فِـيهِمِ وأنَّـكَ حِـزبَ الله صِـرْتَ لهـم حزبـا
وأنّـكَ رُعْـتَ الـدَّهْرَ فيهـا وَرَيْبَـهُ فـإنْ شَـكَّ فَلْيُحْـدِثْ بـساحتِها خَطْبـا
فيومـاً بخيـلٍ تطـرُدُ الـرُّومَ عَـنْهُمُ ويومـاً بجـودٍ يَطْـرُدُ الفقـرَ والجَـدْبا

وقد وصل الحدُّ بالمتنبي أنْ جعلَ الكرم جُزءاً من كيان (بطله) سيف الدولة فإذا مرض البطل مرض الكرم وفي هذا المعنى يقول(٦):

---

(1) المصدر نفسه/ ٤: ٥٠.
(2) التبيان في شرح الديوان: المنسوب لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٠هـ)، ضبط نصّه وصححه الدكتور كمال طالب، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٨م، ٣/٧.
(3) شرح ديوان المتنبي: ٣/١٠٢، ١٠٣.
(4) شرح ديوان المتنبي: ٢/٣.
(5) المصدر نفسه: ١/١٣٢، ١٣٣.
(6) المصدر نفسه: ٤/٦٨، ٦٩.

المجـــدُ عـــوفِيَ إذْ عوفِيـــتَ والكـــرمُ ... وزالَ عنـــكَ إلـــى أعـــدائِكَ الألـــمُ
صَـــحَّتْ بـــصحَّتِكَ الغـــارات وابتَهجـــت ... بهـــا المكـــارِمُ وأنْهَلَّـــتْ بهـــا الـــدِّيمُ
وراجَـــعَ الـــشمسَ نـــورٌ كـــان فارَقهـــا ... كأنّمـــا فَقْـــدُهُ فـــي جـــسمِها سَـــقَمُ
ولاحَ بَرْقُـــكَ لـــي مِـــنْ عارِضَـــيْ ملـــكٍ ... مـــا يـــسقطُ الغَيْـــثُ إلاّ حَيْـــثُ يبتَـــسِمُ

وبطل المتنبي حليمٌ يعفو عند المقدرة فهو يصوّرهُ مُسخراً بعض فنون البديع[١]:

إنّـــي أُصـــاحِبُ حلمـــي وهـــو بـــي كَـــرَمٌ ... ولا أُصـــاحِبُ حِلْمـــي وهـــو بـــي جُـــبُنُ
ولا أُقِـــيمُ علـــى مـــالٍ أذِلُّ بـــهِ ... ولا ألَـــذُّ بمـــا عِرْضِـــي بـــهِ دَرِنُ

ويقول في المعنى ذاته[٢]:

كـــل حلـــم أتـــى بغيـــر اقتـــدار ... حجـــةً لاجـــئ إليهـــا اللئـــامُ
مَـــنْ يهـــنْ يـــسهلْ الهـــوان عليـــهِ ... مـــا لجُـــرحٍ بميـــتٍ إيـــلامُ

إنّ الصعاب والمحن المتواترة خلقت منه مواجهاً لموجات الظلم والانحراف بكل أشكالها وعبثيتها وصولاً إلى المجد والعلياء، ولا سبيلَ إليهما سوى التحدي والجود بالنفس والنفيس والشجاعة والإقدام يوصلان إلى ما يبتغيه المتنبي فهو يقول[٣]:

كـــأنَّ نَفْـــسَكَ لا ترضـــاكَ صـــاحبَهَا ... إلاّ وأنـــتَ علـــى المِفْـــضالِ مِفْـــضالُ
ولا تعُـــدُّكَ صَـــوَّاناً لمهجتهـــا ... إلاّ وأنـــتَ لهـــا فـــي الـــرّوْعِ بَـــذَّالُ
لـــولا المـــشقةُ ســـادَ النـــاسَ كُلُّهُـــمُ ... الجُـــودُ يُفقِـــرُ والإقـــدامُ قَتَّـــالُ

فالمجدُ والعظمةُ والطموح مفاتيحها (البيض الخفاف الصوارم) على حد تعبيره هو، فلنتأمل في قوله في انتصارات سيف الدولة وسعيه إلى مواجهة قوى الشرّ والضلالة واجتثاث رموز الانحراف متخيلاً في هذا القائد الأنموذج المرجوّ لتحقيق طموحات الأمة التي ابتليت بما لا يعدله كلُّ بلاء، فهاك بعض آهاته وصيحاته المدوية مازجاً بينها وبين أفراحه في تحقيق الغلبة على المفسدين والمعتدين أعداء الحياة الذين لقوا مصارعهم على يد سيف الدولة فقبروا في قلعة الحدث قلعة التصدّي والصمود وتصحيح المسارات الخاطئة. فما أعظمه من تصدٍ، وما أجلّه من فتح خلّده أبو الطيب بقوله[٤]:

علـــى قـــدر أهـــلِ العـــزم تـــأتي العـــزائمُ ... وتـــأتي علـــى قَـــدرِ الكِـــرام المكـــارمُ
وتَعْظُـــمُ فـــي عـــينِ الـــصغيرِ صِـــغارها ... وتـــصغرُ فـــي عـــينِ العظـــيم العظـــائمُ

بعد هذه المقابلة المدهشة التي رسمها خيال المتنبي الشعري، وبعد أن رسم أجواء الملحمة وأحداثها رابطاً بين أحداثها تلك وشخصية بطلها المنقذ الذي حرص على الموت لتوهبَ الحياة للأمة، المُنقذ الذي نزل القلعة (ساحة الملحمة) ساقياً وأيّ ساقٍ؟ تصوره أبيات شاعرنا[٥]:

(1) المصدر نفسه: ٢٧١/٤.
(2) شرح ديوان المتنبي: ١٦١/٤.
(3) المصدر نفسه: ٢٩٦/٣.
(4) المصدر نفسه: ٧١/٤.
(5) المصدر نفسه: ٧٢/٤.

هـل الحـدثُ الحمـراءُ تعـرِفُ لونَهـا وَتعلـمُ أيُّ الـسّاقيينِ الغمـائمُ
سـقتها الغَمـامُ الغـر قبـلَ نزولـهِ فلمّـا دنـا منهـا سَـقَتْها الجمـاجِمُ
وكـان بهـا مِثـلُ الجُنُـون فأصـبحت ومِـنْ جثـث القتلـى عليهـا تمـائِمُ

وليس ثمةَ شاف لغليل المتنبي سوى أن يرسم ثورة بطله المنقذ بهذه الهيأة المكنية الواثقة من الظفر وسحق الأعادي ولنا أن نتلمس طموحه اللامتناهي في هذا المشهد من الملحمة ذاتها، إذ يرى في بطلها ما لا يُرى[1]:

وقفـتَ ومـا فـي المـوت شـكٌّ لواقـف كأنّـكَ فـي جفـنِ الـرَدى وهـو نـائمُ
تمـرّ بـكَ الإبطـال كـاعى هزيمـةً ووجهـكَ وضّـاحٌ وثغـرك باسـمُ

ثم يربط هذا بما يسوّغ هذا المشهد المدهش قائلاً[2]:

تجـاوزت مقـدار الـشجاعةَ والنُّهـى إلـى قـول قـومٍ أنـتَ بالغيـبِ عـالِمُ

ويعود المتنبي سيرته الأولى في رسم مشاهد المعركة الأخيرة مستحضراً الصورة التي تُشفي غليله وتجلب له الزهو والخيلاء عاقداً هذا التشبيه بين فرحين وزهوين، فرح الأمة وزهوها النصر وفرح العروس ليلة زفافها، ولم يكتفِ بهذا التقابل بين الصورتين، بل عمد إلى التقابل بين أجزاء كلٍّ من الصورتين، إذ جعل نثر جثث أعدائه فوق (الأحيدب) قلعة الحدث إزاء نثر الدراهم فوق رأس العروس، يا لها من ثنائية[3]:

نثـرتهم فـوق الأحيـدب نثـرةً كمـا نثـرت فـوق العـروس الـدراهم

ويمتد خيال أبي الطيب الخلاّق ليرسم بكلماته المشهد الأخير من هذه الملحمة التي تمثل ملحمة الأمة التي غدت نهباً للطامعين المتصدين وغرضاً يُرمى في كلِّ حين، فلا مناصَ من الجهاد وبلوغ الفتح وأنّى للأمة ذلك وهم متقاعسون خانعون ألفوا الذُّلَّ والهوان (حتى صار عندهم طبعاً وبعض طباع المرء مكتسبُ) – على حد تعبير الشاعر ناصيف اليازجي – وها هي شمسُ الزمان قد أشرقت وسطع بدره – سيف الدولة – فانبرى متحدياً مجاهداً مُذلاً أعداءه من الروم وما خلفه من روم وآخرين من الحاقدين والمبغضين معبراً عن ذلك بقوله[4]:

وسـوى الـروم خَلْـفَ ظهـرِكَ رُومٌ فَعَلَـى أيِّ جانبيـك تميـلُ

بيد أن بطل المتنبي المُنقذ قد أخضع قادة أعدائهِ وجيوشهم فأضحوا طوع قياده كما يقول[5]:

وأقبلـت الـروم تمـشي إليـ ـكَ بـين اللُّيـوثِ وأَشْـبَالها

إن المشهد الأخير من ملاحم الأمة التي رسمها المتنبي يُمثلها الفتح المبين الذي سبيله القوة والعزم فاختتم ملحمته، فتمجيد السيف وإعلاء شأنه مفضلاً إياه على الرماح كونه قاطعاً خفيفاً يفتح أقفال النصر المغلقة، إذ تستدعي مجابهة العدو والاشتباك معه[6]:

(1) شرح ديوان المتنبي: ٤/٧٦، ٧٧.
(2) المصدر نفسه: ٤/٧٧.
(3) المصدر نفسه: ٤/٧٨.
(4) شرح ديوان المتنبي: ٣/٢٠٣.
(5) المصدر نفسه: ٣/١٨٥.
(6) المصدر نفسه: ٤/٧٨.

بـضربٍ أتـى الهامـات والنـصر غائـب ... وصـار إلـى اللبـات والنـصر قـادمُ
حقـرْتَ الرُّدينيَّـات حتـى طَرْحتهـا ... وحتـى كـأنّ الـسَّيْفَ للـرمحِ شـاتمُ
ومـن طلـب الفـتح الجليـل فإنمـا ... مفاتيحُـهُ البـيضُ الخفـافُ الـصوارمُ

والمتنبي ينشد القوة في حِلّه وترحاله "فهو يرى القوة ليثبت ذاته، وبعدها يتسنّى له مواجهة المعتدين..." [1] فهو لا يبغي عن القوة بدلاً، لأنّ بها وحدها بلوغ المعالي ونيل الشرف الرفيع، ولكنّ دون ذلك أهوال، ويصف ذلك المعنى قائلاً[2]:

لا يـسلمُ الـشرف الرفيـع مـن الأذى ... حتـى يُـراقَ علـى جوانبـهِ الـدَّمُ

وما أكثر ما يرد على عاذلته المتخيّلة بهذا الجواب الفاحم قائلاً[3]:

ذريني أنـل مـا لا يُنـال مـن العُلـى ... فـصعبُ العُلْـى فـي الـصَّعْبِ والـسَّهْلُ فـي الـسَّهْلِ
تريـدينَ لُقيـانَ المعـالي رخيـصةً ... ولابُـدَّ دُونَ الـشَّهدِ مِـنْ إبَـرِ النحـلِ

أجل لا موصل إلى النصر إلاّ الأخذ بأسباب القوة والمنعة والشهرة لإصلاح جذور الشر والطغيان، فبُعداً للهو والغفلة، وكثيراً ما يؤكد هذا المعنى في أغراضه الشعرية كلها على شاكلة قوله[4]:

ولا تحـسبنَّ المَجْـدَ زِقّـاً وقينـةً ... فمـا المجْـدُ إلاّ الـسَّيْفُ والفَتْكـةُ البِكْـرُ
وتـضريبُ أعنـاق الملـوكِ لـك ... الهبـواتُ الـسُّودُ والعـسكرُ المجْـرُ
وتركُـكَ فـي الـدُّنيا دويـاً كأنّمـا ... تَـداوَلُ سَـمْعَ المـرءِ أنمُلُـهُ العَـشْرُ

ومما يعززُ هذا الرصد أن المتنبي عَدَّ القوةَ وأسبابها السبيل إلى الخلاص وقهر الأعادي واستعادة حقوق الأمة وبناء مجدها المؤمّل وبالقوة وحدها تصان الحُرمات وبالحرب تدور الدائرة على الطغاة أعداء الحياة الحرّة، وتأسيساً على هذا كُثر في ديوانه ترقّب الحرب وانتظارها بلهفة مثل انتظار العاشق معشوقيه قائلاً في إحدى مدائحه[5]:

شـجاعٌ كـأنَّ الحـربَ عاشـقةٌ لَـهُ ... إذا زارهـا فَدتـهُ بالخيْـلِ والرَّجْـلِ

فالضرورة التي حكمت حياة المتنبي وعصره – أعني تسلّط الطغام على الناس – جعلت منه يَعُدَّ الحرب عاشقة لا يوم كريهة كما اعتاد الآخرون، وقد علّق العكبري في شرحه الديوان على هذا البيت بقوله: "هو شجاعٌ، كأنّ الحربَ عاشقة له، فهي عند زيارته لها، وما يتسرع إليه من الإلمام بها، وتفديه من الخيل والرجال.... أفضل ما يرغبه، وهذا من غريبه الذي لم يسبق إليه" وتأمل مثل ذلك في قوله[6]:

... مُحِـبٌّ كَنَـى بـالبيضِ عـن مُرهَفَاتِهـا ... وبالحُـسْنِ في أجـسامِهِنّ عـن الـصَّقْلِ

(1) المتنبي بين الاغتراب والثورة/ الدكتور ذياب قديد/ مطبعة عالم الكتب/ الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م/ إربد – الأردن/ ص٢٦٦.
(2) شرح ديوان المتنبي: ١٨٧/٤.
(3) المصدر نفسه: ٤/٤.
(4) شرح ديوان المتنبي: ١٧٨/٢، ١٧٩.
(5) المصدر نفسه: ١٠/٤.
(6) المصدر نفسه: ٣/٤.

وفي معرض فخره تكون القوة وأدواتها سُدى تعبيره ولحمته، وفي مثل هذه الأنا المتضخمة والاندفاع للقتال يقول(١):

قُضاعةَ تعلمُ أني الفتى الذ ... ي ادّخرت لصروفِ الزمانِ
ومجدي يدلّ بني خندفٍ ... على أن كُلّ كريم يَمانِ
أنا ابْنُ اللقاءِ أنا ابن السخاء ... أنا ابْنُ الضراب أنا ابنُ الطعانِ

ويقول في موضعٍ ثانٍ(٢):

وَأَنّا إذا ما الموتُ صَرّحَ في الوغى ... لبسنا إلى حاجاتنا الضربَ والطَّعْنا
قَصَدْنَا له قصدَ الحبيبَ لِقاؤُهُ ... إلينا وَقُلْنا للسُيوفِ هُلُمِّنّا

ويرى البحث أن دراسة شعر المتنبي الحربي من زاوية المنظور النفسي تظهر أنّ واقعه النفسي قد انعكس على فنه الشعري، إذ شبَّ المتنبي في وسطٍ مضطرب، وفوضى عارمة وأحداث دامية، وليس ثمة جمة، وكان كلّ ذلك أبلغ الأثر في تكوينه النفسي ومذهبه الفني، لذا رأى في القوة معادلاً موضوعياً لما يترقبه، فضلاً عما اتسم به من خصالٍ يقف في طليعتها إباؤه الفريد وروحه الوثّابة نحو التغيير وكسر شوكة حاقديه ومبغضيه فيقول(٣):

وما سكني سوى قتل الأعادي ... فهل من زورة تشفي القلوبا؟
تَظَلُّ الطَيْرُ منها في حديثٍ ... تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ والنَّعيبا
وقد لَبِستْ دمَاءَهُمُ عَلَيْهِم ... حِداداً لم تَشُقَّ لها جيوبا

فهو في طليعة شعراء القوة والتحدي كما وصفه أحد الباحثين "المتنبي من طراز شعراء القوة والثورة، ومن الشعراء الفحول حقاً، ويكفي أن تقرأوا من أشعاره لتذكركم إلياذة هوميروس"(٤) ومما نلمسه في شعره أنّه يُمجّد السيف بقوله(٥):

حتى رَجَعْتُ وأقلامي قوائل لي ... المجدُ للسيفِ ليسَ المجدُ للقلمِ

فإنّه يشير هنا إلى أنّ المجد إنما يُدرك بالسيف لا بالقلم، وأنّ ذا الفضل لا يُعظّم ولا يُهاب كما يُهاب صاحب السيف ولا يدرك من معاني المجد والشرف ما يدركه. فالسيف صورة القوة والمنعة وأداة الثورة ووسيلة التعبير ولا مندوحة للأمة عن اتخاذ السيف (فما المجد إلا السيف) لتحقيق مجدهم ونيل شرفهم، فلا مكان في هذه الدنيا إلاّ (لمن غلب) كما يُصّرح هو، بيد أنّ المتنبي لم يتساوَ عنده المحاربونَ في أحكام العمل بالسلاح، ويعتمد تفاوتهم على جرأتهم ومراسهم وثباتهم، فالعبرة بصناعة البطولة بالسلاح، يقول في هذا المعنى مادحاً(٦):

وما حَمْدتُكَ في هَوْلٍ ثَبَتَّ لهُ ... حتى بَلَوْتُكَ والأبطال تمتصِعُ

(1) شرح ديوان المتنبي: ٢٣٦/٤.
(2) المصدر نفسه: ٢٢٠/٤، ٢٢١.
(3) المصدر نفسه: ١٨٦/١.
(4) فن المتنبي/ محمد حسين هيكل/ مجلة الحديث/ العدد السابع – تموز – يوليو – ١٩٣٥ السنة التاسعة، ص٥١٦.
(5) شرح ديوان المتنبي: ٢١٤/٤.
(6) شرح ديوان المتنبي: ٢٤٤/٢.

فقد يُظَنُّ شُجاعاً مَنْ بهِ خَرَقٌ وقد يُظَنَّ جَبَاناً مَنْ بهِ زَمَعُ
إنّ السلاحَ جميعُ الناس تحمِلُهُ ولَيسَ كُلُّ ذواتَ المِخْلَبِ السَّبُعُ

ورؤية الشاعر لسلاح البطل – السيف بالذات – جعلت بعضهم يذهب إلى أن المعني بالسلاح إطلاقاً هي السيوف تحديداً، وذلك لخصوصية مكانتها عند العرب(١). فهو أبداً ينشد القوة في سلوكه وتطلعاته وارتباطه بما حوله وفنه الشعري ولا ينفك يطلبها حتى تجدها تتسيّد تعابيره الشعرية كلّها، فهو حين يتحدث عن الفكر ويدعو إليه يتصدر مظهر القوة هذه الدعوة فيقول(٢):

أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

ويُعلي شأن رموز القوة وأدواتها كلما ارتبطت بالمحاربين الأشداء ذوي البأس والمنعة(٣):

وما تنفعُ الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكِرامِ كِرامُ

ولا يشفي غليله إلاّ القوة ورموزها إذ لم يغشَ ذلك حتى في أحرج اللحظات، فينشد(٤):

فَرُبَّتما شَفَيتُ غَليلَ صدري بِسَيْرٍ أو قناةٍ أو حُسَام

وحين يعدُّ نفسه غريباً عمّا حوله يعظّم ذاته مستصغراً كل ما لقيه من أصحاب الشر، وأتباع الظلم، فلا ينزل على حكم أحدٍ مهما بلغت سطوته إذ يقول(٥):

تغرّب لا مستعظماً غير نفسهِ ولا قابلاً إلاّ لخالقهِ حكما

ومن الغريب أنّ من أعماق الغربة تنبثق صورته محارباً ثائراً فيقول(٦):

ما مقامي بأرضِ نخلةَ إلاّ كمُقام المسيح بين اليهودِ
مَفْرَشي صهوةُ الحصانِ ولكـ ـنَّ قميصي مَسْرُودةٌ من حديدِ

ونلاحظ أنّ في البيت الثاني كنايةً عن السعي الدائب في سبيل ما يطمح إليه. وحين يتأمل ما يجري حوله من غِير الزمان وهيمنة المفارقات وسطوة الدهر وعبثيته يتخذ من القوة والقتال أسلوباً في تحقيق الذات، لذا اضطر إلى مقاتلة قوىً لا قِبَلَ له بها فهو يقول(٧):

أُطاعِنُ خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً وما قولي كذا وَمَعيَ الصَّبْرُ

وقد يعجب متأمل شعره من هذا التحدي المتزايد على الرغم من هيمنة الغربة والانفصال عن الآخر في شعره، فكلّما ثقلت عليه مشاعر الغربة شفعها بتحدٍ لا حدود له، وأحسب أنّه منفردٌ في هذا السلوك – ثنائية الغربة والتحدي – ففي غمرة غربته القاسية نجده يصارعُ دهرَهُ وحيداً سالكاً هذا التحدي وصولاً لهدفه، فقال مفتخراً بإبائه ومحاوراً دهره(٨):

وأسري في ظلامِ الليلِ وحدي كأنّي مِنْهُ في قمرٍ منيرِ

(1) ينظر: شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام، رؤية أخلاقية منهجية، طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٨٣، ص٩٩.
(2) شرح ديوان المتنبي: ٢٢٣/١.
(3) المصدر نفسه: ٨٣/٣.
(4) المصدر نفسه: ٢٠٥/٤.
(5) شرح ديوان المتنبي: ١٧٢/٤.
(6) المصدر نفسه: ٣١/٢.
(7) المصدر نفسه: ١٧٨/٢.
(8) المصدر نفسه: ١٧٤/٢.

فَقُلْ في حاجةٍ لم أقضِ منها ... على شَغفي بها شَرْوَى نقيرِ
ونفسٍ لا تُجيبُ إلى خسيسٍ ... وَعَيْنٍ لا تُدَارُ على نظيري
وكفٍّ لا تُنازعُ مَنْ أتاني ... يُنازِعُني سِوَى شَرَفي وخيري
وقِلَّةِ ناصرٍ جوزيتَ عني ... بِشَرٍّ منكَ يا شَرَّ الدُهُورِ

إذن "لم تمنعه غربته في هذا الوجود من الكفاح من أجل أهداف سامية – تحقيق الذات العربية – لأنّ في تحقيق الذات العربية التي يرى ذلك من واجبات الفرد العربي للقيام بدوره في سبيل استعادة مجد أمته"(١).

وممّا يدلّ على هذا الرصد حسّه القومي اللافت مؤكداً سجايا العربي التي جُبِلَ عليها وما آلت إليه هذه السجايا بعد تغيّر القيم الاجتماعية وسيطرة الأعاجم وتحكمهم بشؤون المجتمع العربي في أقاليمه كلّها... فهو يقول ممتعضاً مما شَهِدهُ وعانى منه(٢).

وإنّما الناسُ بالمُلُوكِ وما ... تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُها عجمُ
لا أدب عِنْدهُم ولا حَسَبٌ ... ولا عُهُودٌ لهم ولا ذِمَمُ
بكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُها أُمَمٌ ... تُرْعَى بِعَبْدٍ كأنّها غَنَمُ
يَسْتَخْشِنُ الخَزَّ حينَ يَلْمسُهُ ... وكانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ القَلَمُ

من هذه النزعة الانتقادية الصارخة يشنُّ أبو الطيّب حرباً على الأدعياء والوصوليين الذينَ تكالبوا – في غفلةٍ من غفلات الزمن – على مراكز الحضارة، وقوّضوا القواعد السلوكية الخيّرة واستبدلوا بها طغياناً وفساداً فعاثوا في أرض العرب والمسلمين عبثاً فظيعاً، فخضع لهم القاصي والداني حقباً طوالاً، هذه رؤية المتنبي لعصره الدامي الذي تتحكم فيه الفوضى وتستبد به النزعات الانفصالية، وقد عبث الأعاجم بكل شيء وسيطروا على الجيش، وينصّبون من يريدون تنصيبه من الخلفاء، ومَنْ يريدون إبعاده عن منصب الخلافة سملوا عينيه كي لا يُرشَح لهذا المنصب... ولكل ذلك كثرت إشارات المتنبي إلى هذا العصر وعظمت صيحاته بوجهه هازئاً ممن يتحكمون برقاب الناس فيه إذ يقول(٣):

وَدَهْرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغَارٌ ... وإن كانت لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ
أرانِبُ غَيْرَ أنَّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيامُ

ولنستمع إليه كيف ينحى باللائمة على زمانه الذي ملأ الحياة تشاؤماً ويأساً فعمَّ الحزن الناس جميعاً، وتسرّب القلق إلى النفوس بعدما أصيب عصر المتنبي بكارثةِ سقوط الحضارة العربية التي كان مُقدراً لها أنْ تتسيّد العالم بأسره، ولذا فقد كثرت الإشارة في ديوانه إلى سلبية الدهر ومرادفه الزمان والدنيا، كقوله(٤):

الحزنُ يُقْلِقُ والتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ ... والدَّمْعُ بَيْنَهُما عَصِيٌّ طيِّعُ
يتنازعانِ دُمُوعَ عَيْنٍ مُسَهَّدٍ ... هذا يَجِيءُ بها وهذا يَرْجِعُ

ثمّ يذم الزمان بحسرة صادقة قائلاً:

قُبحاً لوجهكِ يا زمانُ فإنّه ... الباز الأشهب والغراب الأبقعُ

فليس ثمة تصالح بين المتنبي وزمانه، لأنّ المتنبي وأمثاله قد أدركوا الزمان بعد عجزه وسأمه عن تحقيق ما يطلبون... إذ يقول(١):

(1) المتنبي بين الاغتراب والثورة: ص٣٦٣.
(2) شرح ديوان المتنبي: ١٣٣/٤، ١٣٤.
(3) المصدر نفسه: ١٤٢/٤.
(4) شرح ديوان المتنبي: ٩/٣.

أتــى الزمــانَ بنــوه فــي شــبيبته فــسرّهم وآتينــاه علــى الهــرمِ

وقد الدّنيا تأتي مرادفاً للزمان الخؤون في شعر المتنبي يقول[٢]:

ومَــنْ لــم يعــشقِ الــدُّنْيا قــديماً ولكــن لا ســبيلَ إلــى الوصــالِ

ويقول أيضاً[٣]:

لحــا الله ذي الــدنيا مُنَاخــاً لراكــبٍ فكــلٌّ بعيــدِ الهَــمِّ فيهــا مُعــذَّبُ

وتأسيساً على ما تقدّم أمكننا أن نقف عند نصوص المتنبي في محاولة لتفسير هذه الشكوى المحتدمة لإدراكنا انّ العمل الأدبي مرتبط كل الارتباط بشخصية مبدعة وهذه العلاقة تبدو من المسّلمات العقلية والواقعية، ذلك ان العمل الأدبي يستمد عناصره ورؤيته الفكرية والنفسية من شخصية مبدعه ومرجعياتها الثقافية وهذا ما أوقفنا على تميز المتنبي في عمق شكواه وتشابك بواعثها في حياته.

وتبعاً لهذا، فلا مناص من تحري النشاط النفسي من تشكيل عناصر العمل الفني لدى أبي الطيب المتنبي لتسهل قراءة الأثر الفني على نحو جلّي قراءة تضعنا في مواجهة تجربة المتنبي، تلك التجربة التي زخرت بالرؤية الفكرية للوجود والعالم، وهذه الرؤية منبثقة عن سلوك نفسي وعقلي ولغوي مرتبط بالتجربة ذاتها، وقد تأملنا شذرات من شعره فأرتنا هويته الفنية ومذهبه الشعري وسلوكه الإنساني.

المبحث الثاني

الاعتداد بالنفس والشعور بالعظمة والتعالي

وُصِفَ المتنبي أنّه شاعر العظمة والطموح، بيد أن منبع هذا الشعور بالعظمة هو رغبته الجامحة في تحقيق ما يصبو إليه (وماذا تبتغي أعلوَ شأنٍ) على حد تعبير الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، يبدو للبحث أنّ ما يريده المتنبي لا حدود له وقد ألمح هو إلى هذه اللانهائية في أبيات طافحةً بالوجدانية والشعور بخيبة الأمل والإصرار مع التحدي والمواجهة، فلنتأمل قوله عن غربته مقابلاً إياها بتحديه وعدم اكتراثه لكل ما يحدث له[٤]:

بــمَ التعلــلُ لا أهــلٌ ولا وطــنُ ولا نَــديمٌ ولا كــأسٌ ولا ســكنُ
أريــدُ مِــنْ زَمنــي ذا أنْ يُبَلّغنــي مــا لــيسَ يَبْلُغُــهُ مــن نفــسهِ الــزمنُ
لا تلــقَ دهــرَكَ إلاّ غيــر مُكتَــرِثٍ مــادامَ يَــصْحَبُ فيــهِ رُوحَــكَ البــدنُ

ولمّا كان ما يُريده المتنبي لا حدودَ لـه فقد سلك إليه سبيلاً لا هوادة فيه وصراعاً منقطع النظير مع الدهر تارةً ومع الطبيعة تارةً أخرى ومع الطغاة تارةً ثالثة، فهناك صورة من صور صراعه مع الطبيعة، وكيف يُسخّر عناصرها لتكون طوع قياده، فلنتأمّل وصفه رحلته القاسية تخلصاً من سطوة كافور، قاصداً العراق عبر هذه المغامرة المرعبة، قائلاً في هذا التحدي المكين[٥]:

ألا كُــلُّ ماشــيةِ الخَيْزَلــي فــدا كــلّ ماشــيةِ الهَيْــذَبى
...لِــتَعلَمَ مِــصرُ ومَــنْ بــالعراق ومَــنْ بالعواصِــمِ أَنّــي الفتــى

(1) المصدر نفسه: ٢١٨/٤.
(2) المصدر نفسه: ١٠٣/٣.
(3) المصدر نفسه: ٢١٣/١.
(4) شرح ديوان المتنبي: ٢٦٧/٤، ٢٦٨.
(5) المصدر نفسه: ١١٢/١، ١١٥، ١١٦.

وَأَنّـــي وَفَيْـــتُ وأنّـــي أبْيَـــتُ وأنّـــي عَتَـــوْتُ علـــى مَـــنْ عتـــا
...ومَـــنْ يَـــكُ قلـــبٌ كقلبـــي لـــه يَـــشُقُّ إلـــى العِـــزِّ قلـــبَ الثَّـــوى

ثم يُصّور صراعه موضحاً قدرتهُ على تحدي الصعاب قائلاً[١]:

وكـــلّ نجـــاةٍ بُجاوِيَّـــةٍ خَنُـــوفٍ ومـــا بـــيَ حُـــسنُ المِـــشَى
ولكـــنّهُنَّ حِبـــالُ الحيـــاةِ وَكيْـــدُ العُـــداةِ وَمَـــيْطُ الأذى
ضـــربتُ بهـــا التِّيـــه ضـــرب القمـــا ر إمَّـــا لهـــذا وإمّـــا لِـــذا
إذا فَزِعَـــتْ قَـــدَّمَتْها الجيـــادُ وبِـــيضُ الـــسّيوفِ وَسُـــمْرُ القَنْـــا

ويقف المتنبي متحدياً الصحراء وما يتراءى له فيها بوصفها مظهراً آخر من المظاهر قائلاً على سبيل المثال[٢]:

كَـــمْ مَهْمَـــهٍ قَـــذَفٍ قَلْـــبُ الـــدليلِ بـــهِ قَلْـــبُ المُحـــبِّ قَـــضَاني بَعْـــدَ مـــا مطـــلا
عَقَـــدْتُ بـــالنجمِ طرفـــي فـــي مفـــاوِزِهِ وحُـــرَّ وَجْهـــي بحـــرِّ الـــشمسِ إذ أفَـــلا
...حتـــى وَصَـــلْتُ بـــنفسٍ مـــات أكثرُهـــا وليتنـــي عِـــشتُ منهـــا بالـــذي فـــضلا

وما أكثر ما يتخيل نفسه مظهراً من مظاهر الطبيعة على شاكلة قوله[٣]:

وإنِّـــي لَـــنجمٌ تهتـــدي بـــي صـــحبتي إذا حـــالَ مـــن دون النجـــومِ ســـحابُ
غَنِـــيٌّ عـــن الأوطـــانِ لا يـــستفِزّني إلـــى بَلَـــدٍ ســـافرتُ عَنْـــهُ إيـــابُ

فقد تشتد به نزعة الاعتداد بالنفس لتبلغ مبلغاً يفسره انفصاله عن مجتمعه وعدم تصالحه مع كلّ ما لقيه حتى ليبدو – في نظره – أنه ليس منهم وليس ثمة ما يجمعه بهم سوى المظاهر والأشكال الرتيبة قائلاً في صورة بيانية من أروع ما أقيم على التشبيه الضمني[٤]:

ومـــا أنـــا مـــنهم بـــالعيشِ فـــيهم ولكـــنْ مَعْـــدَنُ الـــذهب الرَّغَـــامُ

وهو لم يقرّ بما وُصِف به المتسلطون من عظمةٍ وتعالٍ فلا شأن لهم عنده[٥]:

أيَّ مَحَـــــلٍ أرتقـــــي أيَّ عظـــــيمٍ أتَّقِـــــي
وَكُـــلُّ مـــا قَـــدْ خَلَـــقَ اللـــ ـــهُ ومـــا لَـــم يَخْلُـــقِ
محتقـــرٌ فـــي هِمَّتـــي كـــشعرةٍ فـــي مَفْرِقـــي

فليس ثمة تصالح بين المتنبي ومجتمعه فهو في صِدام مع مجتمع خانع خاشع، ومن هذا الصِدام تتولد الحركة الثورية المتفجرة غيضاً واستنهاضاً للهمم ليتطلع إلى مستوى لائق من العيش الكريم فهو يقول[٦]:

أيـــنَ فـــضلي إذا قنعـــتُ مـــن الـــدهرِ بعـــيشٍ مُعَجَّـــلِ التنكيـــدِ
ضـــاق صَـــدْري وطـــال فـــي طلـــبِ الـــرّزْ قِ قيـــامي وقَـــلَّ عنـــه قعـــودي

(1) المصدر نفسه: ١١٢/١، ١١٣.
(2) شرح ديوان المتنبي: ٢١١/٣.
(3) المصدر نفسه: ٢٢١/١.
(4) المصدر نفسه: ١٤٢/٤.
(5) المصدر نفسه: ٦٠/٣.
(6) شرح ديوان المتنبي: ٣٢/٢.

وصِدامُهُ مع الملوك الفاسدين جَرّه إلى تخيُّل واقع الثورة ونتائجها المرجوّة حتى يُهيئ المقاتلين الأبطال التّواقين للمواجهة قائلاً[١]:

إذا امـتلأت عُيُـونُ الخيـلِ مِنِّـي فويـلٌ فـي التَّـيقُّظِ والمنـامِ

وثمة (أبديتان) تنتظمان معاناة المتنبي وسعيه الحثيث في أنْ يحيا لا مجرد البقاء بل ليكون ثائراً مُغيراً مُتغلباً على العقبات، ويمثل الأبدية الأولى قوله[٢]:

أبـداً اقطـعُ الـبلاد ونجمـي فـي نحـوسٍ وهمتـي فـي سُـعُودِ

ثم يكسر أفق توقع هذه الثنائية (نجمي في نحوسٍ) و (همتي في سعودِ) بما يؤمله من العزيز الحميد مسبب الأسباب سبحانه وتعالى فيقول[٣]:

ولعلّـي مؤمـلٌ بعـض مـا أبْلُـغُ بـاللطف مـن عزيـزٍ حميـدِ

أما (أبديته الثانية) ملخصها في قوله[٤]:

أبـداً تـستردُ مـا تَهَـبُ الدنيـ ـا فيـا ليـتَ جُودَهـا كـانَ بُخْـلا

فالشاعر يحسُّ بعبثية الحياة وقد قاده هذا الإحساس إلى نظرة سوداوية هيمنت على مشاعره، ولِمَ لا يتفجر هذا الإحساس في حياته، وينعكس في فنّه الشعري، والموت فاغرٌ فاه ليشع نهايةً لكُلِّ أمرٍ، انّه النهاية التي لا ينجو منها ناجٍ، وها هو الدهر سيقودنا – كما قاد آباءَنا – إلى مصيرنا المحتوم، يقول المتنبي[٥]:

علـى ذا مـضَى النـاس اجتمـاعٌ وفُرْقـةٌ وَمَيْـتٌ ومولـودٌ وَقَـالٍ وَوَامِـقُ
تَغَيَّـر حـالي والليـالي بحالِهـا وَشِـبْتُ ومـا شَـابَ الزمـانُ الغُرانِـقُ[٦]

إنّ حركية الزمان يقابلها توقف الإنسان عن المضي فيما يُؤمّله، هذه الحركية المعادية للإنسان في حلّه وترحاله تتمثل بالموت الذي يسرق الحياة وليسَ ثمة مواجهٌ لصولته أو صاد لسعيه. يقول[٧]:

ومـا المـوت إلا سـارقٌ دقَّ شَخْـصُهُ يَـصُولُ بـلا كَـفٍّ ويـسعى بـلا رِجْـلِ

ويُلاحظ متأملُ شعره، إن نظرته السوداوية آخذة بالتزايد كلّما تعرّض للمحن والخطوب فطغت على أحاسيسه وعمقتها غربته، فهاجس الإحساس بالموت والفناء قد قضّ مضجعه منذ صباه، وغدا شغله الشاغل، لذا يمكننا أن نشاطر باحثاً معاصراً بقوله "ومن المحتمل أن فكرة الموت عند المتنبي تنبع من ملتقى المحور العمودي الثاني أي المحور الوجودي والمحور الزماني القاطع، وكذلك من المحتمل أن رؤيته الكونية مستنتجة من أفكار البعد والمسافة، وأن فكرة مرور الزمن هي التي سببت وضعه المأساوي"[٨].

---

(1) المصدر نفسه: ١٢٢/٤.
(2) المصدر نفسه: ٣٢/٢.
(3) المصدر نفسه: ٣٢/٢.
(4) المصدر نفسه: ١٨٣/٣.
(5) شرح ديوان المتنبي: ٦١/٣.
(6) الغُرانِقُ: الشاب الناعم الجميل.
(7) شرح ديوان المتنبي: ١٢٨/٣.
(8) المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، مجموعة البحوث والمقالات التي صدرت بمناسبة مهرجان المربد، ١٩٧٧، (مقال) بعنوان: تحليل بنيوي، تفريعي لقصيدة المتنبي، جمال الدين ابن الشيخ، ص٣٨.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المتواضعة في عالم شعر المتنبي وسحره.. ألفيته عالماً مشبعاً بالأسرار، فمهما جلونا غامضه فإنه يبقى مثيراً لما يحمله من دلالات في مجال التحدي والشكوى التي كانت غرضاً قائماً بذاته، وفناً مهماً من فنون الشعر العربي قديماً وحديثاً لارتباطه بالنفس البشرية، إذ يعكس انكساراتها وانحناءاتها على مرّ العصور وفضلاً عن ذلك انه همّ إنساني مستقر في داخل نفوس البشر.. فلذا لم يكن هذا الفن الأصيل والهم الثقيل غريباً على شاعر مرهف الحس مثل المتنبي.. ولعل هذا البحث وقف على جوانب حياة المتنبي ومنها بروز الشكوى بشكل واضح في شعره حتى أنّه تمنى أن ينجز قصيدة خالية من الشكوى حين قال[1]:

ألا ليتَ شِعْري، هل أقولُ قصيدةً فلا أشتَكِيَ فِيهَا، ولا أتعَتَّبُ

كما كشف البحث عن أن الشكوى لم تكن موضوعاً مستقلاً بل كانت مسيطرة تماماً على عطاء الشاعر وتوغلها في نفسه وتفاعلها مع كل أغراض شعره.

كما كان المتنبي ملحاحاً على إبراز الهمّ العام والهمّ الخاص من خلال الشكوى التي رصدها البحث.. وقد أخذت الشكوى مجالاً كبيراً من مطالع قصائده لقد كان هناك تداخلاً كبيراً بين الشكوى والتحدي، على أن الشكوى تكون في أحد مظاهرها سياقاً خفياً للتحدي والذم والهجاء.

وقد ألحّ المتنبي كثيراً على ذم الزمان والتذمر من الحال والناس والواقع المحيط به كما تمكن المتنبي من تمرير أمانيه عبر الشعر ليعكس من خلاله تطلعاته وحمّله آهاته وجعله سفيراً له في التعبير عن كل ما يجولُ في خاطره فاحتلت ألفاظ الشكوى والحزن مرتبة متقدمة في شعره مثلما احتلت ألفاظ التحدي والرفض مرتبة أخرى.

كما وجدنا في شعره التمرد والتحدي يأخذ بُعداً أكثر تألقاً لأنه يفرز نفسه ويعرضها عالماً فسيحاً من اليقين والثقة والتعالي في وجه الآخرين وضدهم.. كما ألفيناه روحاً جامحة، تيّاهة تتلاقى فيها أطراف الدنيا، فالمتنبي وحدة غاضبة لا يرضيها شيء.. وإنسان المتنبي موجة لا شاطئ لها.. دائماً على حركة.. إنه جمرة الثورة في الشعر العربي، جمرة تتوهج بلا انطفاء، وهو طوفان من هدير الأعماق[2].

وبعد أن أنهيت هذا البحث أقول إني لم أشبعه تفصيلاً وتحليلاً.. ولعله يستحق دراسة أخرى على الرغم من كلّ ما كُتب عن شعر المتنبي.. واختم قولي بما ابتدأ به الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: "اللهم إنّا نعوذُ بك من فتنة القول كما نعوذُ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلّف لما لا نُحسن كما نعوذُ بك من العجب بما نحسن".

(1) شرح ديوان المتنبي: ٢١٣/١.

(2) ينظر: ديوان الشعر العربي/ أدونيس/ ط٥ – دار الساقي – بيروت – لبنان – ٢٠١٠ – ج١ – ص٧٥.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري/ قحطان رشيد التميمي/ دار المسيرة – بيروت – ١٩٨١.
٣- أبو الطيّب المتنبي وظواهر التمرد في شعره/ د. زهير غازي زاهد/ عالم الكتب – بيروت/ ط١ – ١٤٠٦هـ.
٤- أيام العرب قبل الإسلام/ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) تحقيق د.عادل البياتي – القاهرة – ١٩٧٣م.
٥- البطولة والأبطال/ د. محمد احمد الحوفي/ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٧م.
٦- تاريخ الأدب العربي/ عصر الدول والإمارات/ د. شوقي ضيف/ ط٢/ دار المعارف – القاهرة.
٧- التبيان في شرح الديوان/ المنسوب لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٠هـ)/ ضبط نصّه وصححه الدكتور كمال طالب/ ط٢ – دار الكتب العلمية بمصر – ٢٠٠٨م.
٨- تجارب الأمم/ ابن مسكويه/ مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر – ١٩١٠م.
٩- ديوان الشعر العربي/ أدونيس/ ط٥ – دار الساقي – بيروت – لبنان ٢٠١٠م.
١٠-ديوان المتنبي/ شرح اليازجي/ اختصره سليمان العيسى/ دار طلاس – دمشق (د. ت).
١١-ذكرى أبي الطيّب المتنبي بعد ألف عام/ عبد الوهاب عزّام/ ط٢ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٥٦م.
١٢-شرح ديوان المتنبي/ عبد الرحمن البرقوقي/ ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ.
١٣-الشريف الرضي/ الدكتور إحسان عباس/ دار صادر – بيروت – ١٩٥١م.
١٤-شعراء أمويون/ د. نوري حمودي القيسي/ مؤسسة دار الكتب للطباعة/ جامعة الموصل – ١٩٧٦م.
١٥-الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ الدكتور احمد عبد الستار الجواري/ الطبعة الأولى/ ٢٠٠٦م.
١٦-ظهر الإسلام/ احمد أمين/ ط٣ – لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٩٥٢م.
١٧-على هامش الأدب والنقد/ علي أدهم/ دار الفكر العربي بمصر (د. ت).
١٨-الفن ومذاهبه في الشعر العربي/ د. شوقي ضيف/ الطبعة العاشرة – دار المعارف بمصر.
١٩-لسان العرب/ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور/ دار صادر – بيروت ١٩٨٦م.
٢٠-لغة الحب في شعر المتنبي/ عبد الفتاح صالح نافع/ الطبعة الأولى – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان – ١٩٨٣م.
٢١-مبادئ النقد الأدبي/ رتشاردز/ ترجمة وتقديم: د. مصطفى بدوي/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصري – ١٩٦٣م.
٢٢-المتنبي بين الاغتراب والثورة/ الدكتور ذياب قديد/ الطبعة الأولى – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن – ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
٢٣-المتنبي شاعر العظمة والطموح/ د. المنجي الكعبي/ ضمن كتاب مالئ الدنيا وشاغل الناس.
٢٤-المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة/ عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي – مكتبة النهضة – بغداد – ١٩٧٣م.
٢٥-المحصول الفكري/ سهيل عثمان ومنير كنعان/ ط١ – دار الإرشاد – بيروت – ١٩٦٩م.
٢٦-المعجم الفلسفي/ د. جميل صليبا/ دار الكتاب اللبناني – بيروت – ١٩٨٢م.
٢٧-مع المتنبي – شعر الحماسة والحكمة/ الأستاذ الدكتور هادي نهر/ ط١ – عالم الكتاب الحديث – إربد – الأردن – ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
٢٨-مع المتنبي/ طه حسين/ الطبعة الثانية عشرة/ دار المعارف – مصر، (د. ت).
٢٩-مع المتنبي في شعره الحربي/ د. هادي نهر لعيبي/ الطبعة الأولى – مطبعة الجامعة – بغداد – ١٩٧٩م.
٣٠-من صور التغرّب في الشعر العباسي/ خالد عارف عثمان/ الانترنيت.

٣١-الموسوعة العربية الميسرة/ خليل شرف الدين/ منشورات دار مكتبة الهلال – بيروت – لبنان – ١٩٨٢م.
٣٢-موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي/ الدكتور محمد زكي العشماوي/ دار النهضة – بيروت – ١٩٨١م.
٣٣-نهاية الأرب في فنون الأدب/ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري/ تحقيق: د. علي أبو ملحم – دار الكتب العلمية – بيروت (د. ت).
٣٤-هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي/ د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي/ مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ٢٠٠١م.
٣٥-يتيمة الدهر/ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)/ تحقيق: محيي الدين عبد الحميد/ الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٣٤م.

المجلات

١- مجلة آفاق عربية/ السنة الثالثة/ كانون الأول – ١٩٧٧م/ مقال بعنوان (المتنبي والنفس/ د. علي كمال).
٢- مجلة آفاق عربية/ السنة الثالثة/ أيار – ١٩٧٨م/ مقال بعنوان (الموثبات في الأدب العربي/ د. عادل جاسم البياتي).
٣- مجلة دراسات للأجيال/ العدد الأول – السنة الثالثة – ١٩٨٢م/ مقال بعنوان (حول القيم الإنسانية لشعر الحرب في العصر الجاهلي/ د. محمود عبد الله الجادر).
٤- مجلة الحديث/ العدد السابع – السنة التاسعة – تموز – يوليو ١٩٣٥م – حلب –مقال بعنوان (فن المتنبي/ محمد حسين هيكل).
٥- مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة – العدد التاسع – السنة السابعة – ١٩٧٤م – بحث بعنوان (ملامح من صور البطل عند المتنبي وقيمه الفنية/ د. مصطفى عبد الحميد).
٦- مجلة المعرفة/ العدد ١١٩ – ٢٠٠/ السنة السابعة عشرة – أيلول – ١٩٧٨م – دمشق/ مقال بعنوان (لماذا صمد المتنبي/ يوسف اليوسف).
٧- مجلة مهرجان المربد الشعري الثاني – ١٩٧٢م – الجمهورية العراقية – وزارة الإعلام – مديرية الثقافة العامة/ مقال بعنوان (الشعر العربي الجديد بين مصدره ومعطاه/ د. ميشال سليمان).
٨- مجلة المورد/ مج٣٥ – العدد الأول – ٢٠٠٨م/ مقال بعنوان (المفارقة في شعر المتنبي/ أ. د. عبد الهادي خضير).

الرسائل الجامعية

١- شعر الشكوى عند المتنبي/ احمد عبد الرحمن حسين العرفج/ رسالة ماجستير/ جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية، ١٤٢٠هـ.
٢- الفروسية في أدب القرن الأول الهجري / عيادة حرز حبيب / رسالة ماجستير/ جامعة بغداد – كلية الآداب – ١٩٨٣م.
٣- ملامح الحس القومي في أدب العصر العباسي في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ روناك توفيق علي، رسالة ماجستير – جامعة بغداد – ١٩٨٣.